دراسات فى الإسلام
يصدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الإسلام في قيادة المجتمع العربي

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

يشرف على إصدارها :
محمد توفيق عويضة

« ٥٢ »
السنة الخامسة
١٥ من رجب ١٣٨٥ هـ
٩ من نوفمبر ١٩٦٥ م



بسم الله الرحمن الرحيم

«كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ»

«آل عمران : ١١٠»

تصدير

الشعوب العربية اليوم فى ثورة ضخمة تشمل كل جوانب الحياة ، ثورة على الفساد والاستعباد والرجعية ، وعلى الجهل والتخلف ، وعلى الجمود والركود ، وعلى كل ما من شأنه أن يقف ضد التقدم والتحرر والنهضة .

وبيئة الشعوب العربية من الخليج الى المحيط بيئة متشابهة ، يضمها تاريخ واحد ، وكفاح مشترك ، ونضال طويل ، وتوحد بينها اللغة والجنس والعادات والتقاليد ، والمشاعر المشتركة .. ولها بالاسلام ومن الاسلام تاريخ مشرق مملوء بالمجد والعزة والكرامة ، وبالتحرر والوحدة ، ولها كانت السيادة فى الأرض ، والنفوذ فى البحار ، وكانت هى البادئة بالعمل من أجل نشر التحرر والمدنية والعلم فى كل بقاع الأرض فى عصور ساد فيها الجهل والظلام .. وفى هذه البيئة نبغ أبطال خالدون فى كل عصور التاريخ ، ومنها ظهر رواد الانسانية فى شتى المجالات والميادين ، وقامت الثورات التحررية الكبرى فى هذه البقعة المباركة ، وفى مقدمتها ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .. ومصير الدول العربية الكبرى

أن تتوحد ، فى دولة واحدة ، تقف كتلة قوية ثالثـــة بين الشرق والغرب ، كتلة صاعدة بانية تخدم الحضارة والسلام فى هـــذه البقعة من العالم .

والاسلام أولا وأخيرا هو كل شىء فى حيـــاة وفى تاريخ وفى مستقبل هذه البقعة ، وهو الذى له الأثر الضخم فى قيادة المجتمع العربى نحو أهدافه وغاياته الكبرى ونحو التحرر والاشـــتراكية والوحـــدة .

ومن ثم فانى أقدم هـــذه الدراسة الى القارىء العربى فى كل مكان ، ليعرف أصول الاسلام ، وحقائق مبادئه الثورية ، وماينطوى عليه من دعوات قوية للتقدم والتحرر والنهضة .

وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب .

تمهيد

العقل البشرى ليس خصما للايمان ، انه يقف دائما مع العقيدة، ينافح عنها ، ويدعو اليها ، وليس بصحيح أن العقل هو الذى أرشد الى الوثنيات فى العصور القديمة ، فان الذى أرشد اليها هو الجهل والتأخر الفكرى وضعف الارادة الانسانية أمام الأهواء والتقاليد والعصبيات المذهبية ، وطغيان الحكام ، والمستبدين .

ولم يرشد العقل الحضارى فى العصور الحديثة الى المادية الجدلية ، انما أرشد اليها تعصب دعاتها ضد الأديان .

ويغالى دعاة الالحاد والمروجون لخرافة العداء بين العقل والدين ، فيقولون : ان العقل قد ارتقى فى عصر العلم ، وسخرت الآلة كل شيء ، حتى أصبحت الحياة وليس فيها الا جبروت هذه الآلة التى يقودها عقل الانسان ، وينادون بأن العقل يجب الا يخرج عن نطاق العلم التجريبى ، والا يخضع لما يسمونه أوهاما وغيبيات ، بل يعمل مؤمنا بنفسه وبالحياة وحدهما ..

وليس لما يقولونه سند من العلم ، اذ لا يحمل قولهم غير طابع التعصب وشعاره المموه الزائف، ولو استمع هؤلاء لصوت عقولهم

وضمائرهم ، وانصتوا الى نداء السماء والكون ، ووقفوا مليا أمام عظمة الوجود وجلال ابداعه ، لعلموا أن الحق واضح كل الوضوح وأن العقل لم يتخل أبدا عن مساندته للايمان ، وأن الفكر الانسانى يرشد دائما الى الله ، ، والى الدين ، والى الحقيقة الناصعة ، العقل المحايد ، المنصف النزيه من وصمة الأغراض والعصبيات والمطامع والشهوات .

العقل دائما يقف مؤمنا بالله وبالرسل وبالدين وبوجود الملائكة وبالآخرة وبالبعث والنشور والحساب ، لأن العقل يأبى أن يرى قدره الله وآثارها الظاهرة فى السماء والأرض ، وفى خلق الانسان ثم يكفر بوجود الله ..

ولأن العقل لا يستطيع أن يفهم أن الحياة خلقت عبثا ، ولا أن الناس خلقوا سدى ، ولا أن البشر يعيشون لأولادهم فحسب .. ولأن العقل يأبى أن يصدق مزاعم الجاحدين والكافرين والمشركين ، من أن الدين خرافة ، وأن الحياة الدنيا ليس وراءها غاية .

والعقل دائما يقف فى صف الايمان ، ويشير أبدا الى وجود الله وقدرته ، انه يقول ما قال القرآن الكريم :

« قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية، لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين ، قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ، ثم أنتم تشركون » .

والعقل يقف متعجبا من خلق الانسان ، وما ركب فى جسمه من أذنين ، وعينين ، وساقين ، ويدين ، ومن أعضاء داخلية دقيقة، تفوق فى دقتها أعظم المعامل المصنوعة ، وما أودع فى جوفه من قلب ، فى رأسه من عقل ، ولا يجد مناصا من أن يعترف بأن خالق ذلك كله هو الله الذى أتقن كل شىء صنعا ، وأحسن كل شىء خلقا .

والعقل قد أعزه القرآن وكرمه ، وجعله الفاصل فى كل شىء ، والحكم فى كل قضية ، والمصرف لكل أمر يتعلق بالانســان ، ان القرآن قد جعله طريقا من طرق المعرفة ومنبعا من منابع الادراك ·· يقول الله تعالى « **ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير** » ، « **واذا قيل لهم : اتبعوا ما أنزل الله، قالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب الســـعير** » ·

ففى هذه الآيات الكريمة تحديد واضح لمناهج المعرفة ومذاهب التفكير والفهم عند البشر ·

وقد عنى القرآن الكريم فى هذه الآيات وفى ســـواها مما لم نذكره أن يوضح للبشر منابع الحقيقة ، حتى لا يضلوا فى الحياة ، أو يتشعب بهم الظن فى مجـال البحث واليقين ، وحتى يبنـــوا عقائدهم وآراءهم على أساس سليم مستقيم ، فالآية عامة فى كل من أمعن فى الجدل دون علم أو برهان **لأنه يهمل عقله اهمالا ، ويفسد** فطرة الله فى نفسه افسادا ، وقد بالغ الاسلام فى احترام العقل ، حتى حارب التقليد فى أصول العقائد ·

ولذلك ذهب الأئمة الى أن التقليد فى أصول العقائد ضلال غير جائز ، وحتى قال الرازى : « **وأكثر العلماء على أن التقليد لا يكفى فى أصول العقائد** » ·

وتندد آيات القرآن بمن يتخذون الجدل بغير علم وسيلة للضلال والاضلال عن سبيل الله ·

ويفسر المفسرون العالم بالعلم الضرورى ، والهدى بالاستدلال والنظر الذى يهدى الى المعرفة ، والكتاب المنير بالوحى ، وان كنـا نحن لا نرى مانعـــا من **أن المراد بالعلم الحقائق التى تستقر فى**

النفس ، ويرشد اليها التفكير والبحث والدليل والتجربة ، والهدى المراد به هو الالهـــام النفسي ، الذى تمده فطـــرة الله فى النفس الانسانية التى فطرها الله على التدين والايمان .

والكتاب المنير هو المنزل من السماء على رسول من الرسل ، يدعو الى مبادئه ، ويبشر بشريعته ، وتكون أقواله وأفعاله تفسيرا لما تضمنه من احكام وآداب وشرائع وشعائر وعقائد ومثل .

واننا لنجد القرآن الكريم يبنى صروح الحياة الانســانية المثلى ويقيم المدنية والحضارة على أساس من الفطرة والعقل وهـــدايه السمــــاء

وتقرر **أصول المعرفة الثلاثة** : العلم الفطرى المركوز فى طبـائع الناس كافة الذى يرشد الى التوحيد والخير والفضائل والى الايمان، **والعلم النظرى** المستفاد من الحجة والاستدلال والبرهـان والبحث والتجربة ، **والعلم الالهى** المستفاد من الوحى والكتب الســـماوية المنزلة على الرسل ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

فأنت اذا خلوت الى وجدانك وجدت الله .. واذا رجعت الى عقلك هداك الى الله، واذا قرأت القرآن عرفت الله . ان الله ـ عز وجل ـ مضىء فى كل قلب ، مشرق فى كل جارحة ، انه فى السماء والأرض وفى أنفسنا ، وكذب دعاة المذهب الواقعى والعملى والمثالى والتجريبى والنقدى .

اننا لو رجعنا الى ديكارت ممثل المذهب العقلى نراه يقيم الأدلة على وجود الله من أن فى الذات فكرة واضحة متميزة لكائن لا نهائى كامل ، ووجود هذه الفكرة فى العقل دليل على وجود مدلول لها فى الخارج هو الله ، واثبات وجود الله كما يرى « ديكارت » وســيلة لازالة الشك ولبلوغ اليقين فى المعرفة ، فالله الذى اثبتنا وجوده

لا يضلنا ولا يخدعنا ، وينتهى أخيرا الى أن العقل وحده هو مصدر المعرفة اليقينية ، وأن الحواس التى وهبها الله لنا لا بد أنها صادقة غير خادعة ، والعالم الخارجى الذى خلقـــه الله لا بد أنه حقيقة وليس وهما .

وقد سبقه القرآن الكريم بأجيال مديدة الى النظرية الضـخمة الممتدة فى المعرفة .

ان القرآن يحلل المعرفة الى مصادرها ومنابعهـــا العديدة .. أما ديكارت فيتخذ من العقل وحده مصدر المعرفة اليقينية .

آمنت بالله ، وان ضل الضالون ، وجحده الجاحـدون ، لأنه الذى يهدينى فى الظلمات ، وأشعر بأنه معى فى الشدائد والمحن والنوائب ، وأراه بعين البصر والبصـــيرة فى كل شىء ، وتحيـط قدرته بالسموات والأرض وهذا الوجود .

الإسلام في قيادة المجتمع العربي

- ١ -

منذ ألف وثلثمائة وثلاث وخمسين عاما ، نزلت رسالة الاسلام على محمد بن عبـد الله ، وهى رسالة ثورية جديدة ، فيهـا كل مقومات الحرية والمساواة والعدالة والاخاء والسلام والرفاهية لبنى البشر جميعا ٠٠ وبشر بها محمد بن عبد الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ هو وأصحابه وخلفاؤه والناس جميعا ، وآمن بها بعد قليل العرب جميعا ، ثم آمن بها الكثير من شعوب العالم وفى مقدمتهم : الفـرس ، والكثير من بلاد الروم ، ومصر ، وشمال افريقيـا ، والسودان وسواحل افريقيا ، والأندلس ، وكثير من أهل الهنـد والصين ، ومن شتى سكان الجزر الواقعة فى البحـار والمحيطات بين افريقيا وآسيا وأوربا ، وقامت بقيام الاسلام مدنية جـديدة ، وحضارة مشرقة انتشرت فى العالم أجمع ، وعم أثرها العرب وغير العرب على السواء ٠

قاد الإسلام المجتمع العربى الى مبادىء جديدة سـامية ، من الحرية والأمن والسلام ، ومن الاشتراكية والرفاهية والرخاء ومن المساواة والتعاون والمحبة والاخاء ٠

وسار به نحو سيادة العـالم وتحريره من نير الاسـتبداد والطغيان والرجعية والاقطاع والرق والعبودية ٠

وسار به الى سبيل جديدة ، لنشر المعرفة والحضارة والتقدم والنهضة والمدنية والكفاح من أجل خدمة الحياة والبشر والارض .

وقاده كذلك الى الروحية الرحبة ، والانسانية المهذبة ، والمثالية الكريمة ، وجعل منـــه شعبا عظيما ، يؤمن بالواجب ويقـــدس المسئولية ، ويحافظ على الشرف ، ويدافع عن العرض ، ويضحى بكل شيء فى سبيل الحق والوطن، ويوفى بالأمانة، ويلتزم بالعهود والمواثيق ، ويراقب الله ويطيعه حق طاعته .

وقاده كذلك الى المغامرة فى سبيل مطالب الحياة العاليـــة ، والى المبادرة بنصرة الضعيف ، والوقوف بجانب المظلوم ومواســاة المنكوب ، ومســـاعدة المكروب ، والعطف عـــلى الفقير واليتيم والمسكين ..

وقاده كذلك الى الاقبال على العلم وتقديسه ونشره بين الناس والافادة منه فى خدمة الحياة والبشرية كلها .

وقاده كذلك الى محاربة الأهواء والمحسوبية والاثرة والأنانية ، والضعف الانسانى ، ومحـــاربة كل الرذائل والشرور الذاتيـــة والاجتماعية والخلقية .

وقاده كذلك الى كل المجالات العـــالية من ركوب البحار ، ومن السعى فى الأرض ، ومن طلب الحياة الشريفة فى أى مكان وكل أرض ..

وقاده الى خير الدنيا والسعادة ، والى طلب خير الآخرة ورضوان الله فيها .. والى كل أمل كريم ، وغاية شريفة ، ومطلب رفيع .

حرر الاسلام كل المستعبدين ، وأنصف كل المظلومين ، وجعل العدل واجبا ، والحرية حقا ، والعلم فرضا ، وساوى بين الناس جميعـــا .

والاسلام اليوم له كل الصـــلاحية ، وكل الامكانيات ، وكل الآثار فى قيادة المجتمع العربى ·

فتقــــديس الشرف والعرض والكرامة والواجب والحـــق والمسئولية والأمانة والوفاء بالعهود يجب أن نستمدها من ديننـــا الكريم وأصوله الشريفة .

وتعود الايثار والتضحية فى سبيل الواجب والوطن والشعب ، والنزاهة والتزام العدل بين الناس والمساواة بين الناس جميعا .. كل ذلك تراث ورثناه من ديننا وأسلافنا ·

ومبدأ الكفاية والعدل وهو أحد مبادىء ديننا الخالد العظيـم ، قد أمر به الاسلام وألزم به الناس جميعا ·

والوحدة والاشتراكية والحرية أمور تعود الى ديننا السماوى الجليل بسبب وثيق ·

اننا يجب أن نستمد من ديننا كل مقومات القوة والحـــق والواجب وشرف تحمل المسئولية ·

يجب أن نستمد منه حب العمل ، وحب الكفاح والنضـــال ، وايثار النزاهة ، والأمل العريض الطويل فى الحياة ·

والاسلام هو ميراثنا العظيم ، وهـــو منجاتنـــا فى كل الاوقات والأزمات ، وهو سفينة الأمان التى تصل بنا الى شاطىء السلام ·· وذلك كله مما يحدد موقف الاسلام فى قيادة المجتمع العربى ، وفى القضاء على الظلم والاقطاع والرجعية فى شتى أنحاء العالم العربى ·· وليس هناك عامل لاستئصال كل أمراضنا الخلقية والاجتماعية والقومية الا الرجوع الى مبادىء الاسلام وأصوله العامة وتشريعاته الحكيمة ، نستلهمها ما يعيننا على السير فى طريق الخير والحرية والسلام ··

عناصر الخلود فى الإسلام

- ١ -

الاسلام دين عام خالد صالح لكل زمان ومكان .

دين سماوى نزلت به الرسالة على محمد بن عبد الله ، كما نزلت على الانبياء من قبله : ابراهيم واسماعيل وموسى وعيسى عليهم السلام .

عام لأن البشر جميعا مكلفون به منذ بدات الرسالة حتى نهاية الحياة ، لا فرق بين صاحب دين وغير صاحب دين .

لأن رسالته مستمرة متجددة دائمة ، لم تنقطع ولن تنقطع أبدا ، حتى قيام الساعة .

صالح لكل زمان ، فقد طبق فى كل العصور ، فنجح تطبيقه نجاحا لم تصادفه دعوة اخرى ، أو دين آخر .. وكلما طبق صادف تطبيقه هذا النجاح ، ولاقى مثل هذا الفوز .

صالح لكل مكان لأنه طبق فى بيئات كثيرة بعضها فى الشرق وبعضها فى الغرب ، وبعضها فى الشمال وبعضها فى الجنوب، وبعضها من العرب ، وبعضها من قوميات اخرى غير عربية .. فنجحت تجربة تطبيقه نجاحا منقطع النظير . وكلما طبق فى مختلف البيئات لاقت التجربة نجاحا وتوفيقا وفوزا غير محدود .

ما سر الخلود فى الإسلام اذا

- ١ -

الأمر واضح كل الوضوح ، فالسر فى ذلك يرجع الى :

١ ـ عظمة مبادىء الاسلام ، هذه المبادىء التى تتلخص فى العدالة التامة والتكافل الاجتماعى الحق ، والشعور بالمسئولية ، ومراقبة الله الحق فى كل وقت ومكان ، وفى الاخاء والمساواة ، والامانة والحرية والانصاف والاحسان ، ومعاملة النـــاس بما يحب المسلم أن يعامله الناس به .

٢ ـ مثالية الاسلام ، هذه المثالية التى تتجــلى فى دعوته دائما الى الايثار والبر والمعروف وتقديم الخــير للنـــاس ، وفى الروح الانسانى الذى يسود جميع طاعاته وأوامره ، وفى دعوته للبر بالضعفاء والفقراء والمساكين والمخالفين فى الدين ، وفى فرضه للزكاة ، وتحريره للرقيق ، وايجاب كفالة اليتيم ، والانفاق على الارامل والمحتاجين وذوى الحاجة ، ومؤاساة المنــكوبين ، ومواساة المكروبين .. الى غير ذلك من شتى الفضائل الانسانية والقربات الطيبة الصالحة .

٣ ـ بساطة تعاليم الاسلام ، هـــذه البساطة الظاهرة فى عقيدته ، الواضحة فى عبـاداته ، الماثلـــة فى طاعاته ومعاملاته ، وقوانينه وتشريعاته .

٤ ــ الحيوية التى تتمثل دائما فى الاسلام ، فهو متجدد الحيوية ، متجدد النشاط والعمل من أجل صالح الفرد والجماعة والامة والانسانية .. وهو بعيد عن الجمود وعن الخمول ، وهو دين يعمل من اجل صالح العامل والتاجر والزارع والصانع والموظف والمراة والحاكم والمحكوم والغنى والفقير والقوىوالضعيف على حد سواء ، وهو دين يحدد لكل انسان مسئوليته ويلزمه بها صغيرا كان أو كبيرا على حد سواء .. وفى هذا يقول الرسول العظيم ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « الا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالامام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمراة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى مال أبيه وهو مسئول عن رعيته ، الا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

٥ ــ روح الاسلام الثورى ، فهو دين طبيعته الثورة على مصطلحات الناس فى المحاباة والمحسوبية والنفاق والزلفى وكنز الاموال دون أداء حقوق الفقراء فيها ، والثورة على ما تواضع عليه الناس من قيم الحسب والنسب والمال والمظهر والجاه والسلطان والثورة على العصبيات الاقليمية والقومية والعنصرية ، وعلى الفروق بين البشر ، التى تميز جنسا على جنس ، أو لونا على لون ، وعلى كل القيم الزائفة والمثل الباطلة ، والتقاليد الفاسدة ، وعلى الشرور والفساد والبهتان والطغيان والزور والاستبداد ، وعلى اكل اموال الناس بالباطل ، وعلى كل الرذائل والآفات والموبقات والمعاصى .

٦ ــ روح الانصاف التى تسود كل نظراته فى المجتمع والحياة وفى معاملة الطبقاتالفقيرة والمحرومة والعاطلة والعاجزة عن العمل .

٧ ــ دعوته الى العمل أيا كان هــذا العمــل ، وتقديسه له ؛ ورفعه من كرامة العامل فى الحياة .

٨ ــ ديمقراطية الاسلام التى تتجلى فى الشورى والتعاون والعمل من أجل صالح الغير والجماعة ، وفى الغائه الامتيــازات الطبقية ، والامتيازات التى يمنحها الاقوياء ، والحاكمون لأنفسهم دائما .. وفى غير ذلك من الاعمال .

٩ ــ اهتمامه بالعلم والثقافة والمعرفة ، ودعوته الى ارشاد الجاهل ، وتعليم الامى ، وتثقيف الناشىء .

١٠ ــ توفر العناصر الحضارية فى الاسلام ، هذه العناصر التى تتمثل فى عمل الاسلام من أجل التقدم والنهوض واليقظة والتجديد والاصلاح وفى ايجابه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر، وفى نشره لكل القيم النبيلة الطيبة الصالحة بين كــل الناس ، وفى نشره للنور والمدنية والتهذيب بين البشر جميعا .. الخ .

ــ ٣ ــ

هذا قليل من كثير حفل به ديننا الخالد السماوى العظيم ، الذى يترجم عنه القرآن الكريم .. هذا الدين الذى أحدث ثورة فى العالم ما بعدها ثورة ، والذى قاد العالم طول عصور التاريخ، وحرره من حضارات زائفة وقيم باطلة وعبودية قاتلة ، واستبداد ما بعده استبداد ، والذى ايقــظ النــاس من سباتهم ، وفك أسرهم من وثاق الوثنيــة والجهــل والجمــود والشرك والرق والضلال ، ونفخ فيهم روح العزة والكرامة والثقة بالنفس والايمان بمقدرة الانسـان فى الحياة ، وبقيمة العمل الصالح فى بنائها .

هذا هو الاسلام ، وهذا هو كتابه الحكيم ، الذى نزل هدى ونورا ورحمة ، شملت العالم ، وعمت أنوارها الناس والحياة .

ان الاسلام دعوة الى الاخوة الانسانية العامة ، والى الزمالة البشرية المشتركة ، وهو دعوة انسانية عالية الى السلام العالمى المنشود .

ولقد رفع الاسلام أيدى الحكام عن الشعب وامواله ، حتى قال محمد صلوات الله عليــه لابن اللتيبة وقد استعمله على صدقات بنى سليم ، فلما جاء النبى وحاسبه قال هــذا الذى لكم وهذه هدية أهديت لى : هلا جلست فى بيـت ابيك وبيت امك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقا ، وفى بقية الحديث انه قام فخطب الناس ، ونهى عن مثل هذا وتوعد عليه .

وساوى الفقير بالغنى ، والصغير بالكبير ، والمحكوم بالحاكم، والمرأة بالرجل ، والاعجمى بالعربى ، والوضيع بالشريف ، ولقد قال لفاطمة بنت محمد : يا فاطمة انى والله لا اغنى عنــك من الله شيئا .

حرية وعدالة واخاء ، وعلم ونهضــة ، وشعور بالمسئولية ، وتربية للوجدان والمشاعر وارهاف للذوق ، والفطر الانسانية ، ومؤاخاة للعقل ، لا حد لها .

هذا هو الاسلام واصوله ومبادئه وهى — من غير شك — مبادىء تقود الانسانية ، ولا بد ان تقودهــا ، الى شاطىء الأمن والسلام والرفاهية لبنى البشر جميعا .

رسالة الاسلام في عالم اليوم

الاسلام ديننا الخالد العظيم ، ورسالة السماء الى محمد ابن عبد الله – صلى الله عليه وسلم – والشريعة التى نزل بها كتاب كريم ، هو القرآن ، دستورها وناموسها الاكبر .

وهو الدين الذى نزل هدى ورحمة للعالمين ، واحدث تطبيقه لاول مرة فى مكة ثم المدينة ثم جزيرة العرب نفسهـــا على يد الرسول الاطهر ثورة لم تشهدها الانسانية من قبل ولا من بعد واصلاحها لم يكن يحلم به بشر ولا زلنا الى اليوم لا نستطيع أن نصل الى مداه الكبار ، ثم استمر فى مده العظيم فطبقه الخلفاء الراشدون فى البلاد التى دخلت فى ظلال الاســلام ، وانطوى تحت لوائه الملايين فى الشمال والجنوب والشرق والغرب فرحين مهللين مكبرين مستبشرين بعهد من الحرية والاخاء والتعـــاون والمساواة والعدالة والرفاهيــة لبنى البشر جميعــا وعاملين على تأثيل حضارة ومدنية جديدة لم تشهدها البشرية من قبـل .. دين جارى التطور فى كل زمان ومكان ، وجابه الطغيان وانتصر عليه فى كل بيئة وعصر .. ولم تقف أمامه مشكلة من المشكلات ولم يزعم منصف فى كل جيل ان منطق الاسلام لا يجارى العقل والحياة ، ولم يستطع اصحاب الدعوات الجديدة أن يزعموا أن دعواتهم على ما هيىء لها أحيانا من دعاية وقوة ومساندة النفوذ أو الجاه أو المال قد نالت بعض ما ناله الاســـــلام فى سنوات

معدودات من ثقة الجماهير وايمانها به واقبالها على اعتنـــاقه والدخول فيه .

دين لا زالت أصوله ودعواته حلـــم البشرية بعد ما وصلت اليه من تطور وتقدم وحضارة . ولا زالت اصـــوله الفكرية والروحية تحمل الى العالم الأمن والسلام والرخـــاء ، وهو يعد جديد فى كل واقت عظيم فى كل حين .. جليل فى كل عين .. رفيع فى كل عقل ..

دين وضع أصولا خالدة لاصلاح جميع مجالات الحياة ونواحى النشاط الانسانى . وسبق « الديكارتيين » الى تقديم الشـــك أمام كل بحث وترك التقليد . والى الايمان بما يؤدى اليه الدليل. كما سبق « بيكون » الى المذهب العامى . وسبق فلاسفة الاجتماع الى وضع اصوله . ولم يجعل للمعرفة الانسانية حـــدا من حيث وضع بعض المفكرين الغربيين حدا يمكن ان يصل اليه الانسان من معارف . واقام مبادئه على سمو الغاية الادبيـــة فحسب دون النظر الى التعليلات الاقتصادية والمادية للاشياء ووحد بين الاجناس والعناصر والالوان .. ودعا الى اخوة بشرية عامة لا تفاضل فيها لأحد على أحد الا بالتقوى والعمل الصالح .. وجمع الكثير من الامم والشعوب تحت ظلاله مما عجز عن تحقيقه كل القواد والدول .. هذا مع العدالة فى الحكم .. ومع الايمان بالحرية والشورى والاخاء والمساواة وتطبيقها ومع العمل على نشر الامن والرفاهية والوئام والسلام بين بنى البشر جميعا .

— ٢ —

لم يقف الاسلام وأصوله ومبادئه الكـــــريمة حائرا امام اية مشكلة من مشكلات الحياة فى كل عصر وكل بيئة بل وجد الحلول العادلة لكل ما جد وما يجد على سطح الارض من جديد .

كانت رسالته دائما التبشير بقيم انسانية رفيعة . ولم يقل أبدا وفى أحرج الأزمان والمحن – ان الغاية تبرر الوسيلة.. لم يزعم الاسلام انه وصى على البشر وانه مستعمر فى الارض بل دعا دائما الى الايمان بأصوله كحل أساسى لجميع مشـــكلات المضطهدين والمستعمرين والذين وقف بهم التأخر عن متابعة سير الحياة .. نادى بالحرية لكل الناس ولكل الشعوب دعا الى ان تتولى كل أمة امور نفسها فى ظلال مبادئه ودعواته واصوله قاوم كل من وقف فى سبيل دعوته لأن من يفعل ذلك فهو يقف فى وجه الحيـــاة نفسها ليؤخر سير الزمن .

حل جميع العصبيات وابطلها وكل المشكلات وازالها وجميع العقد النفسية والروحية عند جميع الناس ووضع مكانهـــا حب الخير والتعاون والرحمةوحب الوئام والسلام والبر والشفقة .. وهذب العواطف والمشاعر الانسانية وطهرها وسما بها وجمـــل الحياة أمام الناس وجعلها تعاونا ومشاركة وتبادلا للمنافع والخيرات ومد فى آفاق الامل بما دعا اليه من الثقة برحمة الله وفضــــله وفرجه ، قابل الاسلام آلاف الدعوات والمبادىء والافكار الجديدة ومع ذلك لم تستطع احداها ان تجاريه فى حيـــويته وبساطته ومثاليته وعظمة مبادئه واصوله وواجه آلاف الطغاة ومع ذلك لم يستطع واحد منهم أن يوقف سيره المحتوم او يعطل رسالته المنيرة أو ينتصر على مبادىء الاسلام الجليلة العظيمة .

وحملت شعوب الاسلام دائما الى العالم والى الحياة فى كل العصور والاجيال وبفضل دينهم العظيم رسالة التقدم والحضارة ورسالة الحرية والعدالة ورسالة المحبة والسلام والاخاء والشورى والتعاون بين الناس جميعا .

ودخل الناس فىدين الله افواجا فى كل عصر وجيل وفى كل زمان ومكان .

قد تقول ان المسلمين فى العصور الاخيرة قد اخذ منهم الغرب زمام قيادة العالم وحاربهم فى دينهم واموالهم واعراضهم حربا شديدة واعترتهم فترة من النوم والجمود والجهل .. ولكن ذلك كله لم يكن السبب فيه دينهم بل السبب انصرافهم عن تعاليمه ومجاراتهم للغرب وحضارته فى كل شىء وخصوماتهم بعضهم ببعض .. ولاسباب اخرى لا تخفى على أحد اليوم ، والشىء الوحيد الذى يمكن ان يعيد القوة والسيادة الى امم الاسلام هو عودتهم الى دينهم ورجوعهم الى حضارتهم وتاريخهم وتراثهم واقبالهم على تربية ابنائهم تربية اسلامية صحيحة .

— ٣ —

والآن ما هى رسالة الاسلام فى عالم اليوم ؟.

تتلخص اصول الاسلام فى العقيدة الاسلامية وفى المبادىء الاساسية للمجتمع الاسلامى وفى نظام العبادة للمسلم وفى الاسس التى يبنى عليها كيان الامة الاسلامية .. وفى افكار الاسلام الاساسية فى خدمة الحياة نفسها .

أما من حيث العقيدة فهى عقيدة انسانية تؤمن بالله ورسالة محمد وبرسل الله جميعا لا تفرق بين احد منهم .. ومن حيث نظام العبادة للفرد المسلم فهو يتلخص فى الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج .. الى وجوب اعتناقه للفضائل الانسانية الاخرى من صدق ووفاء ورحمة وشفقة وايثار وبر وامانة الخ ..

ومن حيث مبادىء المجتمع الاساسية فى الاسلام فهى تقوم على :

١ — الشعور بالمسئولية .
٢ — التعاون التام .
٣ — العدالة الكاملة والتزامها .

٤ – المساواة بين جميع افراد المجتمع فى الحقوق والواجبات.

٥ – الحرية الكاملة لكل الناس والطبقات .

٦ – نشر الرخاء بين جميع الناس .

٧ – توفير العمل وجعله حقا لكل واحد .

٨ – كفالة الدولة لجميع مرافق الحياة وايصالها لكل الناس بالمجان ما دام ذلك ممكنا .

٩ – مساعدة الدولة لكل محتاج بقدر ما يسد حاجته دون ما تأخير .

١٠ – السهر على خدمة المجتمع وخدمة الامن بكل وسيلة .

١١ – محاربة كل ألوان الفساد الاجتماعى والرذائل الاجتماعية والخلقية والقضاء عليها الى غير ذلك من مبادىء ليس هنا مكان شرحها .

ومن حيث الاسس التى يبنى عليهـا كيان الامة الاسلامية فتتلخص فى الشورى – السلام بين طبقات الامة – العـدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعى – القضاء على الامتيازات الفردية والاجتماعية الا ما يرجع الى العمل وخدمة الامة – نشر التعليم وجعله حقا لكل فرد – الى آخره .

اما افكار الاسلام فى خدمة الحياة فهى ترجع الى مبادئه فى تحرير الارقاء والمستعبدين والمستضعفين وفى نشر السلام ، وفى تبادل التجارة بين امم الارض ، وفى نشر الثقافة والحضـارة ومساعدة الامم المتخلفة ، وفى الانتصار لكل ضعيف ومظلوم ، وفى العمل على تقدم الحياة وأثرائها بكل جـديد نافع ، ومبتكر صالح .. الخ .

ورسالة الاسلام فى عالم اليوم تستمد من جوهره وحقيقة مبادئه العامة وفى الامكان اجمالها فيما يأتى :

١ ـ نشر الروحية فى عالم اليوم الذى تغلبت عليـــه المادية وحكمة فلسفاتها الجائرة .

٢ ـ الدعوة الى الاخوة الانسانية فى عالم اليوم الملىء بالاحقاد وبالاسباب التى تهدد السلام العالمى فى كل لحظة .

٣ ـ الدعوة الى تحرير العناصر والشـــعوب المستعبدة لان ذلك من جوهر الاسلام وطبيعته .

٤ ـ العمل من اجل ثقافة جديدة مثالية .

٥ ـ نشر اعمال المفكرين المسلمين ومبادىء الاسلام وبطولات ابطاله وقواده ومواقف قادته بكل لغة لتكون تراثا للناس يستهدون بها ويسترشدون بسموها .

٦ ـ الكشف عن اصول الحضارة الاسلامية واعمالها فى خدمة العالم ونشر ملخصات عنها بكل لغة .

٧ ـ انشاء معاهد ثقافية واسلامية فى جميع انحاء العـــالم لنشر الثقافة العربية الاسلامية .

٨ ـ كتابة التاريخ الاسلامى فى موسوعة عربيـــة بأسلوب جديد يتفق مع تطور الحياة والفكر العالمى المعاصر .

٩ نشر مفاخر الاسلام فى خـــدمة الشعوب التى استظلت بظلاله وفى النهوض بها وكل ما اسداه اليها الحكم الاسلامى من نهضة وتقدم وحضارة ورقى .

١٠ ـ الدعوة الى مبادىء الاسلام الاساســـية فى الحرية والشورى والمساواة والتكافل الاجتماعى والاخاء والعدالة وغير ذلك . هذا قليل من كثير مما يجب عمله ومما يستطيع الاســلام خدمة الحياة والحضارة والعالم فى مجاله .

مبادئ الاسلام

– ١ –

يقول الله – تبارك وتعالى – : « وجاهدوا فى الله حق جهاده، هو اجتباكم ، وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ، ليكون الرسول شـــهيدا عليكم وتكونوا شـــهداء على الناس .. فأقيموا الصـــلاة ، وآتوا الزكاة ، واعتصموا بالله هو مولاكم ، فنعم المولى ونعم النصير » .

تشتمل هذه الآية الكريمة على أمور أربعة ، هى عماد الاسلام ، وأركانه المتينة وأصول مبادئه الخالدة ، وتعتبر خلاصة لعقائد الدين ، وشرائع الاسلام .. وهى : الجهاد بالله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والاعتصام بالله .. ذلك أن الاسلام عقيدة وعمل ، والعقيدة تتركز فى الثقة بالله ، والاعتراف بأنه القوة العليـــا التى منها المبدأ ، واليها المنتى ، ومنها النفع والضر ، ولها الخلق والأمر ، وهى الملجأ والملاذ فى الشدة الرخاء ، والسراء والضراء ، والى ذلك أشار الله تعالى بقـــوله – جل شـــأنه – : « **واعتصموا بالله وهو مولاكم** » ..

العمل ثلاثة أقسام : عمل يعود نفعه على الفرد فى ذاته واليه أشار الله تعالى بقوله : « **فأقيموا الصلاة** » ، وعمل يتعدى نفعه الى الغير من أفراد مجموع الأمة ، والاشارة اليه بقوله تعـــالى : « **وآتوا الزكاة** » .. وعمل يعود نفعه على الأمة كلهـــا ، من حيث

هى أمة ذات كيان دولى ، لها وطن تحميه ، ودين تقويه ، وقومية ترعاها .. وقد أشار الله تعالى الى ذلك بقوله تعالى : « **وجاهدوا فى الله حق جهاده** » .

اما الجهاد فانه اشد اهمية ، واكثر ضرورة ، لحفظ كيان الامة، ورفع رايتها ، واعزاز كلمتها .. والزود عن شرفها وكرامتها وعن غريزة حب البقاء لها .. وهو جهاد مشروع ما دام للدفاع عن الوطن أو العقيدة أو الشرف أو المبادىء الانسانية الكريمة ، والأمم تلجأ فى دفع العدوان الى جيش قوى يحمى ذمارها ، ويرهب أعداءها ، وحياة الأمة وبقاؤها ، وموتها وفناؤها منوطان بقوتها وضعفها .. فالجيش القوى فيه مبدأ حياة الأمة وبقائها ، والمدافع عن عزتها وجلالها .. واذا اهملت الامة أمر الجيش ، وضنت عليه بالمال والرعاية ، فمآلها الى الفناء والاذلال والاستعباد .. وقد فسر قول الله تعالى :

« **يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم** » ، بأن معناه : اذا دعاكم للجهاد الذى فيه حياتكم وعزتكم وبقاؤكم ، وقول الله تعالى : « **وأنفقوا فى سبيل الله ، ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة** » فسره العلماء بأن معناه : أنفقوا فى سبيل الله ولا تبخلوا فتقعوا موقع الهلكة ويستأصلكم عدوكم . .ولقد عرف الاسلام للجهاد جليل أثره ، وعظيم خطره ، فجعله فرضا واجبا وجعل غدوه أو رواحه فى سبيل الله خيرا من الدنيا وما فيها ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما » .

وفى الحديث القدسى عن رب العزة – جل جلاله – يقول الله – تبارك وتعالى – : « **أنا ضامن لمن خرج فى سبيلى لا يخرجه الا جهاد** فى سبيلى وإيمان بى وتصديق برسلى أن أدخله الجنة أو أرجعه

الى أهله نائلا ما نال من أجر أو غنيمـــــة ، ٠٠ وقال تعـــــالى : **« اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب »** ٠

واذا كان جهاد النفس وجهاد الشيطان والاغراء فيهما حرب على القوى الخفية التى تدفع بالانسان الى الزلل والفساد ، فقـــد شبهها بجهاد الأعداء ، وأعطى لمن يجاهد نفسه وهواه أو يجاهـــد الشيطان أجرا كبيرا ، وفى ذلك يقول الرسول — صلى الله عليه وسلم — للجيش وقد رجع من الغزو : « **رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر** » ٠٠

وفى تأكيد الجهاد يقول الله — تبارك وتعالى — : « وهو اجتباكم — أى اختاركم لنصرة دينه ووطن الاسلام — ، ويقول : وما جعـــل عليكم فى الدين من حرج» أى وما جعل عليكم فى تشريعات الاسلام من مشقة وعنت ، ومنها أمره لكم بالجهـــــاد فى سبيله ، اذ هو لا يصعب على المؤمن بالله ، ولا يشق على كل رجل سليم التفكير والوجدان ، وما بالكم بعمل يؤدى الى المجد والذكر الحسن أو الى الشهادة فى سبيل الله ودخول جنته ونيل رضائه ورضـــوانه ، وفى الحديث أن النبى — صلى الله عليه وسلم — حث المسلمين على الجهاد فى سبيل الله وذكر الشهادة والجنة ، ورجل من الأنصار فى يده تمرات يأكلها ، فقال : انى لحريص على الدنيا ان جلست حتى أفرغ من هذه التمرات ، فرماها من يده ، وحمل بسيفه عـلى الأعداء فقاتل حتى قتل .

والمجاهدون فى سبيل الله — كما يقول الله تبارك وتعالى — : « **أحياء عند ربهم يرزقون** » ، ومعناه حياة الذكر والسـعادة بما نالوا وما رزقوا من رضاء الله وجنته ٠٠ وقوله تعالى : « **ملة أبيكم ابراهيم — أى ان الجهاد كما هو من شرائع الاسلام فهو من شرائع دين ابراهيم — عليه السلام .**

ومعنى « هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا » ٠٠ ان الله رفع ذكركم فى الكتب السماوية السابقة ، ونوه بشأنكم فى فى الأمم قبلكم ، فسماكم فى كتبهم مسلمين ومذعنين وطائعين ، كما سماكم بهذا ـ المسلمين ـ فى كتابكم هذا وهو القرآن الكريم ، فقال تعالى : ((ورضيت لكم الاسلام دينا)) ٠٠ وقوله تعالى : ((ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ـ معناه أن الله فضلكم بهذا الدين حتى ان الرسول ليشهد لكم يوم القيامة بأنكم أسلمتم وآمنتم ، وتشهدون أنتم على الأمم بأنهم رسالات السماء قد بلغتهم تصديقا لما فى القرآن الكريم ٠

وأما الأمر باقامة الصلاة فلما فيها من تطهير النفس ، وتهذيب الوجدان ، وايقاظ المشاعر ، وتربية العواطف الكريمة ، وتعليم الادب مع الله ، ولما فيها من الشكر على نعمه ، والرضا بقدره ، ولما فيها كذلك من اجلال لله وتعظيم له ، وايمان به وبرسالاته ، ولما ترشد اليه من تعويد على الطهارة والنظافة وجمال النفس ، وحسن اللبس ٠٠ ولما فيها كذلك من تعويد على النظام ٠٠ والتعاون والألفة والمحبة ، ولما تحفز اليه من نصرة المسلم لأخيه المسلم وتفانيه فى مساعدته وعمله على ازالة كل همومه وأحزانه ، ولأنها مظهر الاسلام ٠٠ ولغير ذلك من الحكم الجليلة ، والمقاصد الشريفة النبيلة ٠٠ ومعنى « اقام الصلاة » أدائها كاملة والمحافظة عليها ٠٠ وقد كرر الأمر باقامة الصلاة فى القرآن الكريم فى مئات المواضع ، وجعل جزاؤها الرضوان والفوز والفلاح فى الدنيا والاخرة ٠

وأما ايتاء الذكاة فمعناه المداومة على انفاقها وبذلها للفقراء والمستحقين ، والزكاة تطهير للمال ، ووقاية من شرور الفقر ، وحرب على الفساد وعلى دواعى انحراف الأمن وعلى الشيوعية ، على كل عمل هدام للمجتمع .. وهى مظهر للعدالة الاجتماعية وللمحبة السائدة بين أفراد المجتمع الاسلامى ٠٠ وهى شكر للنعمة ، وبر

بحق الانسانية ، وارضاء للعبد ولله ، وملائكته ، وكم فيها من حياة للفقير المسكين ، وللاسر التى أخنى عليهـا الدهر ، وللذين رماهم الدهر بسهام الارزاء والنكبات .

هذه هى أهم مبادىء الاسلام ، وهى ترشد الى طبيعة هـذا الدين الحنيف ، وما يشتمل عليه من ايمـان كامل بالله ، وحب عميق للوطن وللدفاع عنه ، ومن اشتراكية سـمحة عادلة ، ومن خضوع لله وشكر له وتفان فى عبادته ..

والاسلام بهذه المبادىء الجليلة يؤكد فى كل وقت وكل مكان سيادته الروحية بين البشر ، وصلاحيته الدائمة لقيادة المجتمعات الانسانية قيادة سليمة بناءة ، وأثره الجليل فى قيادة مجتمعنـا العربى نحو الروحية النبيلة ، والسلام بين البشر جميعا ، وحب المبادىء والتفانى فى سبيلها وفى الدفاع عنها ، وصدق الله العظيم فيما يقول .

« **اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » .

الاسلام والاشتراكيه

- ١ -

الاسلام دين اشتراكى سمح ، يخص الفقير والضعيف .. والعامل والمرأة والصغير واليتيم والمريض بالعناية والرعاية ، ويقيم المجتمع على دعامة قوية من التعاون والمحبة والوئام والمؤازره والمساندة والتكافل ، وينهى عن التكاثر والاستغلال والاحتكار ، والفردية ..

والاشتراكية تناقض الفردية ، وتعمل من الناحية السياسية على اعلاء المجتمع على الفرد ، واجتماعيا على تحقيق المساواة بين الأفراد والغاء الفوارق بين الطبقات ، واقتصاديا على القضاء على الرأسمالية والغاء الملكية الفردية لأموال الانتاج واستبعاد المنافسة

والاشتراكية تؤمن بالأديان السماوية ، ولا تميل الى العنف فى القضاء على الراسمالية ، ولا تؤمن بالدكتاتورية العمالية ، ومن ثم فهى تنافى الشيوعية وتناقضها ، والاشتراكية تعمل فى حدود اشتراكية الدولة والشيوعية تعمل فى نطاق اشتراكية رأس المال ، فالاشتراكية وسط بين الرأسمالية والشيوعية ، وبين اطلاق مبدأ الملكية وتعطيله ، ومن ثم فهى تساير الاسلام وتتعاون معه ، حيث يؤمن الاسلام بالمصلحة الشخصية كهدف ، وبالمزاحمة كوسيلة ، وبالحرية كشرط .

٢ ـ ان غاية الاسلام تكوين مجتمع مثالى يسيطر عليه الوئام والاخاء والتعاون والسلام والحب، فالعامل الخلقى له فى هذا المجتمع المقام الاول ، وهو رقيب على السلوك الاجتماعى ومهيمن عليه ، ومن ثم فان العيوب التى اخذت على الاقتصادى الفردى الشائع فى اوربا وامريكا ليس لها أثر فى الاقتصاد الاسلامى ، فالنظرة الشخصية فى الراسمالية الغربية تهدم كل شىء يقف فى طريق الانتاج لأنها لا تؤمن بالعامل الخلقى ولا بمصلحة المجتمع بخلاف الاسلام فان مصلحة المجتمع عنده أمر أساسى وعنصر هام لا غنى عنه ، ويأخذ الاسلام بعين الاعتبار أمر تطهير المجتمع من الرذائل واسباب الفساد ، ويقرن دائما بين العمل والعقيدة والخلق ، فلا ضرر ولا ضرار ، ولا تكديس للثروات ولاجمعها فى ايدى فئة قليلة ولا حرمان للاكثرية من ضروريات العيش ، وليست الناحية الروحية فى الاسلام الا عاملا على تهذيب الامم والمجتمعات ليعيش البشر اخوة متحابين متعاونين فى ظلال السلام والحب والاخاء والمساواة والأمن والاطمئنان والعمل للصالح العام .

الميراث والصدقة والاحسان والنفقات الواجبة والزكاة وغيرها .

واذا كان القانون الانجليزى يحصر التركة فى الابن البكر ويحرم من عداه ، وبعض القوانين الأخرى تجيز الوصية لأى انسان بجميع المال ، سواء كان وارثا أم غير وارث ، فان الاسلام يوزع انصباء الارث توزيعا عادلا ، ولا يسمح لصاحب المال بالوصية فى اكثر من الثلث . وهكذا ينهى الاسلام عن الاستغناء الشديد الذى هو الاقطاع ، لانه يقود الى الطغيان «ان الانسان ليطغى، أن رآه استغنى» ويقف موقفا عادلا ووسطا فى توزيع الثروة ، من غير عسف ولا اكراه ولا اضطرار ، وذلك ليقى المجتمع شرور البطر من الأثرياء ، والحقد والبغضاء والهدم من جانب الفقراء .

والمزاحمة — وهى وسيلة فى الاقتصاد الغــربى ، وعيب من عيوبه — هى وسيلة أيضا للاقتصاد الاسلامى ، وليست عيبا فيه ، لاختلافها فى النظامين ، فالاسلام قد قرب بين طبقات المالكين ، بما شرع من الارث والوصية والزكاة ، وبمـا حرم من الربا ، ونتيجة لذلك لا يكون هناك فى الاسلام فقير معدم لا يملك اسباب المزاحمة. والحرية كذلك فى الاقتصاد الغربى نجدها عيبا ، وهى فى الاقتصاد الاسلامى مقيدة بالعامل الخلقى وبمصــلحة المجتمع ، فلا احتكار ولا استغلال ولا اثراء من الكسب الحـــرام ، ومن ثم تنتفى عيوب الحرية فى اقتصادنا الاسلامى، فلا يملك احد مثلا اتلاف محصوله، ولا يملك طرحه فى الأسواق بشكل يؤثر فى ارتفاع الاسعار ، بل ان الدولة والمجتمع على مثله رقيب .

ان اشتراكية الاسلام واضحة كل الوضوح ، وهى تعمل على ضمان العيش للعاجز ، والكسب للعامل ، والحـــرية للأجير ، والقوت للفقـــير والصحة للمريض ، والعــلم للجــاهل ، والأمن والسعادة للناس جميعا . لأن المسلمين اسرة واحــــدة ، تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم، بل هم كالجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضــاء بالحمى والسهر .

ان الاشتراكية فى الاسلام صالحة لكل زمان ومكان ، وهى تعمل على نشر المساواة والغاء الفوارق بين الطبقات ، وعلى العــــدالة الاجتماعية ، وعلى الوئام والمحبة والسلام بين طبقات المجتمع .

فالاسلام — اذن — هو دين اشتراكى ، والاشتراكية لا تنـــــافى الاسلام ، بل هى من جوهره وحقيقته ، وما أصدق ما يقول شوقى :

الاشتراكيون أنت امامهـم لولا دعاوى القوم والغلواء

وان الاشتراكية ومحاربة الاقطاع التى كان يطبقها الخلفـــاء المسلمون ، وفى مقدمتهم : عمر بن الخطاب ، وعمر بن عبد العزيز ،

لتعد تجربة رائدة فى تاريخ البشرية منذ أمد طويل ، وقـــد سبقت التجارب الاشتراكية المعاصرة بألف وثلاثمائة سنة . ولا عجب فان الاسلام بطبيعته دين ثورى اشتراكى .. يقيم المســـــاواة الكاملة والعدالة الاجتماعية الشاملة ، بين جميع طبقـات المجتمع والأمة على حد سواء ...»

وحدة الهدف أولا

١ ــ لا يزال كثير من المسلمين المعاصرين يفهمون الاســـــلام بالتقليد ، ويؤمنون بأصـــوله وأركانه بالوراثة ، ويأخذون أحكامه وآدابه بالتناقل .. دون أن يرجعوا الى العقـــل واحداث الزمن الحاضرة فى فهمه ، وتدبر غاياته وأهدافه ، وكثيرا ما يثرثرون بما لا يفهمون ، ويهرفون بمـــا لا يعرفون ، ويقولون مالا يتدبرون . والعجب العاجب أن تسمع من بعضهم أن الاجتماع على الفضـــائل الانسانية ، والمثل والقيم النبيلة ، يكفى فى الاسلام وفى كل دين دون دخول فى الاسلام ، وايمان بالدين . وتصديق برسالة محمـد صلوات الله عليه .

وليس اغرب من هذا الفهم فى عرف العقل ، ولا فى رأى الدين نفسه ، وكأنى بهؤلاء يقولون ان : « وحدة الصف » هى الغاية وعليها المعول وفيها الكفاية . وحسبهم أن يجتمع النـاس على الخير ، ويؤمنوا بالفضيلة ، ويصدقوا بوجود الله ، ففى ذلك كل الغنى ، وفيه الفوز برضاء الله ونعيمه الأبدى .. ولقـــد اجتمع كثير من الدعاة المضللين على الدعاية لفكرة توحيد الأديان ، لغـرض فى نفوسهم ، ومرض فى قلوبهم ، فهذا التوحيد لن تؤمن به اليهـودية ولا المسيحية ، ولا يؤمن به الاسلام نفسه ما دام أساسه أخذ بعض الدين وترك بعضه، وما أصدق ما يقول الله عز وجل فى كتابه الحكيم:

« ان الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا . اولئك هم الكافرون حقا ، واعتدنا للكافرين عذابا مهينا » .

ان ذلك كله خطأ ما بعده خطأ فى حكم العقل وحكم الدين ايضا ، فالاسلام لا يدعو الى وحدة الصف وانما يدعو الى وحدة الهدف فليكن الانسان مؤمنا أولا بالدين ، فهذا الايمان أساسى وضرورى لتحقيق وجود الانسان الروحى والفكرى والأدبى أولا ، ثم بعد ذلك عليه أن يلتزم آداب الدين واركانه وشعائره ، ويعمل بها ليحقق الغاية من الايمان ومن الدين ، وفى ذلك يقول الله عز وجل : « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » . ويقول وما أصدق ما يقول : **« يا أيها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله ، والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا » .**

ان التوحيد فى الاديان أو بينها هو ما نص عليه القرآن الكريم فى قوله عز وجل : **« قل آمنا بالله ، وما أنزل علينا ، وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » .**

وبهذا تتحقق وحدة الهدف بين اتباع الدين ، أما ان يجتمع الناس كافة على بعض أصول الدين دون بعض ، تحقيقا لفكرة وحدة الصف ، فهذا خطأ فى التفكير والفهم ، وقد كان لنا من عبر الحاضر ما يذكرنا بحقائق الدين وحكمة تشريعاته واصوله ، فقد كنا ندعو الى وحدة الصف ، ثم عدنا ندعو الى وحدة الهدف اولا بعد أن تبين لنا أن وحدة الصف لا تكسبنا ولا تكسب دعوة العروبة والقومية

والوحدة خيرا .. فهل يلام الاسلام اذا ما دعا أولا الى وحدة الهدف ، فطالب الناس بالدخول فى الاسلام أولا ، ثم طالبهم بعد ذلك بأعمال الاسلام وتشريعاته وآدابه واحكامه ؟ .

٢ — ان الدين والايمان بالله أولا هو الحد الفاصل بين روح الانسان وبين غرائز الحيوان : بين المدنية والوحشية ، بين العقل والجهل ، بين النور والظلام .

والايمان بالوحى والرسالات السماوية أمر حتمى ، لانها خيوط الفجر فى ظلمات الحياة ، ومبادىء الحق والخير والعدل والحرية فى ضلالات الباطل والشر والظلم والطغيان ، ولأن الرسل الذين اصطفاهم الله لرسالاته هم دعاة المثل والقيم الانسانية الرفيعة وحاملوا لواء المدنية والحضارة والهداية فى الارض .

والايمان برسالة الاسلام ايمان بالتطور والتجديد وبالكمال الروحى والنفسى وبالفضائل والمبادىء الشريفة ، وبالحياة نفسها ومثالياتها العالية .. وما محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعظم الدعاة الى اعظم المبادىء وأكرمها وأشرفها عند الله والناس، وهو الذى قاد الحياة الى عصر جديد ، وشرع لها من المبادىء والأصول ما اعزها وسما بها الى غايات رفيعة من السلام والخير والهدى والايثار والمحبة ومرضاة الله والناس ، ونقلها الى حياة النور والمدنية والعدالة والاخاء والمساواة ، وعلمها أن الدين هو الحياة الشريفة ، وهو موجه الحياة الى اشرف المبادىء والأهداف ، وقائدها الى أسمى الغايات وأنبل الاتجاهات والمساعى .

والعمل الصالح ، والتزام الفضائل ، وايثار العدل ، وحب الحرية ، والايمان بالمساواة والاخاء ، وبالايثار ، والعمل لخير المجتمع ، هو تحقيق لمدلول الدين نفسه وعمل بمبادئه ، وتطبيق لأحكامه ..

وذلك كله تحقيق لوحدة الهدف قبل كل شيء • دون نظر الى وحدة الصف التى تعنى جمع الأنصار والأتباع دون أن يشملهم جميعا السلام الروحى ، ودون أن يجتمعوا كلهم على هدف واحد وغاية واحدة وسبيل واحد •

٣ ـ وحدة الهدف أولا مبدأ من مبادىء الاسلام الأولى ، عناه الدين وألزم به اتباعه ، وطبقه فى كل أموره ودعوته •

ولست مع من يرى أن بعض الاعمال يمكن أن تقدم على الايمان بالدين نفسه ، كائنة ما كانت هذه الأعمال ، وبالغة مابلغت من السمو والرفعة والشرف ••

وفى « التفسير البيانى » للدكتورة الكبيرة بنت الشاطىء ـ وهو تفسير جديد قيم يسير على مناهج علمية ثابتة ـ عند تفسير قوله تعالى من سورة البلد : « فلا اقتحم العقبة • وما أدراك ما العقبة • فك رقبة • أو اطعام فى يوم ذى مسغبة • يتيما ذا مقربة • أو مسكينا ذا متربة • ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة » • ترى الدكتورة الأخذ بصريح الترتيب فى الآيات ، وتقول مانصه (يبين القرآن مراحل اقتحام العقبة ، فيضع كرامة الانسان بالعتق ، والعدالة الاجتماعية باطعام فقير أو مسكين ، خطوتين سابقتين على الايمان ، مقررا ألا سبيل الى رجاء الايمان فيمن غره جاهه فاسترق مخلوقا مثله ، وتحجر قلبه فلم يطعم فى المجاعة يتيما أو مسكينا ، معلنا ألا مكان لايمان صادق مخلص فى مجتمع يسيغ اهدار البشرية ، ويطيق أن يمسك الطعام فى يوم مجاعة عن يتيم ذى قربى أو مسكين معدم ، لايجد الا التراب •

ومعنى ذلك ان الايمان فى المرتبة الثانية لا الأولى ، ودائما نقول: انه لايستطيع المحافظة على حقوقه الا مؤمن بها ، وأن الايمان أولا ،

وكل شيء يجيىء فى المرتبة التالية له ، فوحدة الهـــدف أولا ٠٠ والايمان فى يد الرقيق وثيقة الحرية ، وفى يد الفقير والمسكين وثيقة العدالة الاجتماعيـة ، وما جدوى تحرير الرقيق اذ لم يكن يملك الايمـــان به ، ولا يملك الوثيقـــة التى أعلنت تحريره وما جدوى عدالة اجتماعية ، اذا لم تكن هذه العدالة جزءا من الدين والايمان ، وشعيرة من شعائرهما ، وحقا واجبا للفقير أو المسكين واليتيم ، الايمان أولا ، لأن الايمان هو الحرية والوسيلة الى الكرامة الانسانية والعدالة الاجتماعية ٠ فالقرآن الكريم جعـل كل هذا من اقتحام العقبة وتحمل المسئولية ، والانسان مطالب بها جميعها ، وقدم القرآن فك الرقبة والاطعام للاهتمام بهما فى مجتمع جاهلى خوطب بالقرآن ثم رفع من منزلة الايمان بالتعبير بثم ، لأن الايمان اذا جد وجد كل عمل صالح وخلق كريم ٠

والأمر كله أن القرآن والاسلام يعتبران وحدةالهدف أولا : فكل الطاعات والأعمال الصالحات لاتجىء عبادة مقصودة يتقرب بها الى الله الا بعد وجود الأساس الذى تبنى عليه هذه الطـــاعات ، وهو الايمان ، وبدونه تكون هذه الأعمال أعمـــالا انسانية نبيلة ليس المقصود بها طاعة الله بل ارضاء نزعات أخرى ، وهى لاترفع مسئولية الانسان عن وجوب الايمان بالله ورسالته ولا تبعد عنه عذابه وغضبه فى اليـــوم الآخر وليست مرضـــاة الله فى الآخرة الا عن المؤمنين المصدقين ثم الطائعين ٠٠ وفى هذا يقول الله عز وجل : (قد أفلح المؤمنون ٠ الذين هم فى صلاتهم خاشعون ٠ والذين هم عن اللغـــو معرضـــون ٠ والذين هم للزكاة فاعلون » ٠٠ الى أن قال عز وجل : (أولئك هم الوارثون ٠ الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » ٠

ان وحدة الهدف مبـــــدأ ظاهر واضح فى تعاليم الاسلام وشعائره واصوله ٠٠ فهى تلى فى المنزلة الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبخاتم الرسل وبرسالته الكريمة الخالدة ٠

٤ — ووفق ناموس التدرج والارتقاء لابد أن تأوى الانسانية الى هذه الشريعة السمحة الكريمة ، ولا بد أن ترد الى أصـــولها العامة ، ومبادئها الشريفة ، التى وسعت الناس جميعـــا والتى ساوت بينهم فى الحقوق والواجبات وأعلنت مبادىء الحرية والاخاء بين البشر كافة ، وشرعت شرائع الشورى والديمقراطية والعدالة والحق ، والتكافل الاجتماعى ،وجعلت الناس اخوة ، ونادت بوحدة اسلامية تسع المسلمين جميعا ، وهى التى تنادى بها اليوم فى وحدة عربية اسلامية مصغرة ، كما نادت بوحدة انسانية عامة ، يشـــترك المسلمون وأتباع الديانات السماوية الأخرى فيها فى المحافظـة على السلام وعلى القيم الانسانية ، وعلى بناء الحضارة ، وعلى أصول المدنية والمسئولية الأدبية بين العبـــد وربه . فالوحدة الأولى هى وحدة فى الهدف ، وهى مقدمة على كل شىء والوحدة الثانية هى وحدة فى الصف ، وهى لاتقوم الا اذا وجدت الأولى ، وهى ضرورية للتوازن العالمى ولسيادة السلام فى الأرض ولتبـــادل التجارة والمنافع بين البشر جميعا ، يقول الاستاذ الدكتور محمود حب الله الأمين العـــام لمجمع البحوث الاســـلامية بالأزهر من محاضرة له فى قاعة الامام محمد عبـــده مانصـــه : « اذا كان المســـلمون قد انحدروا من أجناس وأنساب شتى ، وجاءوا الى الاسلام من ثقافات وحضارات شتى ، ولهم لغات ولهجات متباينة فانه لحق كذلك أن الاسلام قد جمع بينهم ، والاسلام عقيدة وشريعة ، مبادىء ومثل وطريق للسلوك فى شتى أنواعه ومظاهره ، فغرس لذلك بين الأمم والشـــعوب التى اعتنقته عادات وتقاليد متشابهة فى الحياة ، وحد بها بين اتجاهات المسلمين فى تصرفاتهم وطرائق سلوكهم فى الحياة ، ولم يوحد الاسلام بين المسلمين فى كلمة التوحيد فحسب ، بل وحد بينهم كذلك فى قواعد السلوك وفى أساليب السلوك فى الحياة ، فأصبحت عاداتهم متقاربة متشابهة فالوحدة بين المسلمين وحدة حقيقية ، لأنها وحدة

فى الايمان ، وحدة فى المثل وفى الأهداف ، وحدة فى الشعور ، ووحدة فى السلوك والأخلاق ، وفى التقاليد والعادات » .

٥ ــ ان الاسلام يقف اليوم فى مركز الثقل فى العالم ، يحفظ للانسانية روحها ، ويجدد للحضارة بناءها ، ويبنى للحياة قيمها ومثلها ، تفر من أمامه نزعات الالحاد والمادية وتحاول أن تطغى عليه نزعات الفساد والتحلل فلا تلبث أن تجد العود الصلب ، والحق الثابت ، والقوة الفتية ، والشباب المتجدد ، والمثاليات الانسانية الكريمة ، فتخشع وتطأطىء الرأس صاغرة ذليلة .

الاسلام هو الحياة المتوثبة ، والشعائر الكريمة الحية المتجددة هو كل قوة وكل خير وكل عدل ورحمة فى الأرض : (انه لاعيب فيه ، ولا ينقصه شىء من مقومات الحضارة ، بل هو الموجد لأعلى أنواع الحضارات ، فاذا كانت هناك عيوب ، واذا كان هناك تخلف ، فهو نتيجة لتفكيرنا ، ولعملنا نحن المسلمين ، وليس نتيجة للاسلام .

ولا يعنى ذلك أن ندخل فى الاسلام تقاليد المسلمين المتأخرة ، وجمودهم الذى صاروا اليه ، ولا أن نحاسبه على أعمالنا نحن ، وعلى ركوع البعض منا أمام القوة والجبروت والسلطان ، بل ان الاسلام هو التحرر والانطلاق والحق والانصاف ، وهو السمو النفسى والروحى فى كل نواحيه ، وهو كل دعوة كريمة فى الحياة .

ليت شعرى متى يفهم المسلمون رسالتهم فى الحياة حق فهمها ؟ ومتى يؤمنون بالايثار لا الأثرة وبالحق لا بالباطل ، وبالعدل لا بالجور ، وبكل قيم الحياة ومثالياتها الرفيعة ؟

اللهم انك ربى ، وأنت القادر على تغيير الطباع ، وتصحيح الأوضاع ، وعلى أن يعود مسلمو اليوم كما كانوا بالأمس ، مثلا رفيعة ، وأمثلة حية لمبادىء الاسلام وآدابه وأصوله .

اللهم أنت الذى أنزلت رسالتك ، وأنت الذى وعدت بحفظها فى الأرض لتبقى فيها مابقيت الحيـــــاة ، تبعث الايمان والخير والفداء والتضحية والبطولة والشجاعة والنبل والشمم والخير بين الناس . فاكتب للدين وأهله العزة والسيادة والمنعة والقوة والظفر، حتى تبقى الراية مرفوعة ، واللواء خفاقا ، والعلم مرفرفا ، يجتمع عليه الناس كلما فرقتهم الحياة ، وأغرتهم الدنيا ، ووسوست اليهم المادية ودعاتها المبطلون .

الإسلام فى ذروة انتصاراته

- ١ -

منذ نزلت رسالة الله الخالدة على خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم بشريعة الاسلام ، وهى تخوض أعنف المعارك ، وتلاقى أضخم الخصومات ، وانتصر الاســلام فى جميع معاركه ، لأنه دين الحق ، ودين القيمة ، وشريعة الحياة .. انتصر فى معــاركه مع الوثنية فهدم صروحها ، وخفض عروشــها ، وأزال دولتها من الوجود ، وكان محمد صلوات الله عليه يؤذن بفنائها ، منذ بعث الى النــاس كافة ، حتى وهو فى أشد المحن والخطــوب ، كان يبشر بانقضاء سلطانها ، ففى هجرته صلوات الله عليه ، وهو يســير فى طريقه الى المدينة ، وشباب مكة من أتبــاع الوثنية يعدون خلفه ليردوه الى مكة ، حتى يظفروا بالجوائز الطائلة التى وعدتهم بها قريش ، ولحقه منهم سراقة الكنــانى المكى ، حتى كاد ان يبلـغ الرسول ، وحتى لقد سمع قراءته ، وهو لا يلتفت ، وابو بكـر يكثر الالتفات ، وما هو الا أن ساخت يدا فرس سراقة فى الأرض ، فنزل من فوقها ، وأقامها ، ثم ركبها حتى كاد أن يصل الى رسول الله ، وهتف قائلا : يا محمد ان قومك قد جعلوا فيك الدية ، وانى خرجت اطلبك ، واطلب بطلبك المال والمجد ، وكبابه فرسه مرة اخرى فأقامها ، وضرب القداح يستشير آلهته ، أيستأنف السير ،

واشار تعليه : ان لا ، ولكنه ركب جواده ، وانطلق فى اثر محمــد وصحبه ، حتى أصبح منه على مد البصر ، فلكز جواده ، ولكنه كبابه كبوة شديدة ، والقى به بعيدا ، حتى كان سراقة يقول فيما بعد ، وهو يقص قصته : لقد شعرت حينئذ أنه قد قدر أن تفوز قضية محمد ، وهتف سراقة : أنا سراقة ، انظرونى أكلمكم ، والله لا أريبكم، ولا يأتيكم منى شيء تكرهونه ، والتفت محمد صلى الله عليه وسلم اليه ، فاقترب منه وقص عليه قصص الناس فى مكة وما يريدونه به ، وعرض عليه سراقة الزاد والمتاع ، فلم يأخذ منه شيئا ، وقــال له : اكتم عن الناس خبرنا . ويلتفت رسول الله الى سراقة قائلا : كيف بك ياسراقة اذا لبست سوارى كسرى وتاجه ومنطقته ·· ثم يسكت ، ويسكت سراقة متعجبا مشدوها ، سوارا كسرى وتاجه ومنطقته !! يا للعجب ··

وتمضى الأيام ، وينتصر الاســـلام على وثنية الفرس ، ويحطم امبراطوريتهم الضخمة فى عهد عمر بن الخطاب ، فى معارك عظمى ، هزم فيها يزد جرد الثالث وجيشه اللجب ، وأخذت خزائنه فحملت هزم فيها يزدجرد الثالث وجيشه اللجب ، وأخذت خزائنه فحملت دعا سراقة ، فدخل عليه ، فاستدناه منه ، وألبسه سوارى كسرى ومنطقته وتاجه ، وقال له : ارفع يديك ، وقل الله أكبر ، الحمد لله الذى سلب السوارين كسرى الذى كان يقول : أنا رب النـــاس ، وألبسهما سراقة ،رجلا اعرابيا من مدلج ، ورفع عمر صوته ينادى الناس ، ثم أركب سراقة ، وطيف به فى المدينة ، والناس من حوله يحتفلون بهزيمة كسرى ، وبصدق محمد رسول الله فيما بشر به وهو فى هجرته ·· وبذلك زال أكبر معقل للوثنية ، كما انتهى من قبل معقلها فى الجزيرةالعربية ، بفتح مكة ··

ثم انتصر الاسلام فى معاركه مع خصومه من أتبــاع الديانات الأخرى انتصارات مدوية ..

وانتصر كذلك فى معركة الحياة ذاتها ، فما اكثر المبادىء التى تفوز فى الحرب ، ولكنها تفشل فى السلام .. ، وليس من ذلك الاسلام ، ودعوته الكبرى الخالدة ، فقد انتصر فى معارك العلم والمدنية والحضارة وقضى على الوحشية والهمجية والجهل والاستبداد والطغيان ، وعلى عصور الاقطاع والرق والجاهلية ، ونشر مكان ذلك أسمى المبادىء وأنبل الأفكار ، وأمثل الآراء والأخلاق ، وجمع أمما كثيرة حول كتاب الله الحكيم ، فاتخذته لها اماما وقائدا ومرشدا ، وحقق وحدة اسلامية بين شعوب تختلف دما ولغة وأخلاقا وتقاليد ونظما ، وحدة هزت المشرق والمغرب ، وكانت حديث الناس فى جميع المجتمعات القديمة ، وأثل المسلمون للحضارة الانسانية مجدا لايطوى ، ومفاخر لاتبيد ولا تزول ، وسبقوا الى كثير من العلوم والصناعات والنظم ، مما جعل مدينتهم المادية من الرفعة فى مستوى عقيدتهم الدينية من القوة والمنعة ، وخلفوا وراءهم من الآثار مالا يزال المؤرخون يكتشفون من غرائبه ما يطرفون به معاشريهم .

- ٢ -

وهكذا خرج الاسلام فائزا منتصرا من جميع ما صادفه من الخصومات فى تاريخه الطويل ، ومعاركه مع الصليبيين ، وفى جبال البرانس ، وعند بواتييه ، وفى جزر البحر الأبيض ، وجنوب ايطاليا ، وفى الأندلس وفى قارة افريقية ، وفى البحار الكبرى ، وكذلك حروبه مع التتار ، ثم مع الاستعمار الفرنسى والانجليزى والأوربى بوجه عام ، كانت ولا تزال مضرب الأمثال فى تاريخ الانتصارات الكبرى

واليوم ، وبعد اربعة عشر قرنا من الزمان يقف الاسلام فى عصر الذرة ، امام العلم فى سلطانه وجبروته وقوته ، يقف وقفة المجد

والعظمة والجلال ، وقفة الشرف والقوة والاعتزاز ، انه لا يهزم فى معركته الحاضرة مع العلم ، ولن يهزم ابدا ، انه المنتصر العظيم فى انتصاراته .

واذا كان الاسلام قد احتك برجال العلم القديم ، من أهل المذاهب والآراء والديانات المختلفة والثقافات المتنوعة ، ودل على شموخ ومنعة لا ترام ولا تنال ، وقضى الحق بأن ينتصر على كل اولئك انتصارات كبيرة ، كان مظهرها قوة دعوته وذيوعها حينا بعد حين ، وثبات مبادئه وشرائعه فى مواجهة الحياة والعلم لأنها من القوة والسمو والرفعة بحيث يعشى الأبصار نورها ، ويعجز العقول جبروتها ، ويؤيد العلم فى تطوره انها الحق الذى لا لبس فيه ، والصدق الذى لا يعتريه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وانها فى تجددها وصلاحيتها لكل زمان ومكان تتمشى مع أحدث المبادىء واعظم التشريعات . واذا كان سولون المشرع اليونانى القديم قال كلمة رددتها من بعده الأجيال ، وهى : « انا لم اشرع لأهل أثينا شريعة كاملة مصدرها الخيال ، وانما وضعت لهم قوانين توافق حاجاتهم وتلائم استعدادهم » فان من حق كل مسلم أن يقول ان شريعته ، كانت أغنى الشرائع ، وأسماها ، وأقواها على مواجهه الحياة والعلم فى كل عصر وجيل .

واليوم يقف الاسلام امام العلم ، العلم فى عصر الذرة ، أمام جبروت العقل الانسانى الذى وصل الى الفضاء ، فلا يطأطىء رأسه بل يشعر بالفخر ، أليس الاسلام هو الذى بشر ببلوغ الانسان الفضاء ، فقال فى كتابه الحكيم : « فلا أقسم بالشفق والليل وماوسق والقمر اذا اتسق ، لتركبن طبقا عن طبق » وكان من معجزات الاسلام الكبرى الاسراء حيث طيف بالرسول الأعظم فى الآفاق والأكوان والسموات السبع ، حتى بلغ سدرة المنتهى وسمع كلام الخالق جل جلاله ، وتلقى وحيه الكريم .

ان العلم الذى يقولون عنه انه جبار عات ومارد قوى ، وانه ما صاول دنيا الا تغلب عليه ـ ليقف اليوم مبهورا بعظمة الاســـلام وجلاله ، وبعظمة القرآن كتابه الحكيم فى كل نواحيه ، فى مبادئه ، فى دعواته ، فى تشريعاته ونظمه ، فى جوانبه الانسانية والروحية والمادية والاجتماعية ، فى نظراته الفكرية والسلوكية :، فى كل شىء احتوى عليه • والاسلام الذى احتك باليهودية والمسيحية وبالنحل الفارسية والسوريانية والكلدانية والاغريقية والفرعونية ، يقــف اليوم أمام الفلسفات الأوربية المختلفة ، والنزعات المتباينة المتناقضة وقفة فيها ايمان بالنفس وشموخ بالحق ، واعتزاز بالقوة ، وعلى مابلغه العلم اليوم من خوارق ومعجزات ، فانه حتى الآن لم ينقض مبدأ من مبادىء الاسلام ، ولا أنكر أصلا من أصوله ، ولا استطاع أن يهدم نظرية من نظرياته الشامخة ان العلم فى جلال عنفوانــه سيكون من أقوى أصدقاء الاسلام وانصاره ، لأن الفلســـفات الاسلامية ، والأصول القرآنية ، تتلاقى وأمثالها من التى اهتــدى اليها العلم أشرف التقاء ، وليس بينهما موطن نزاع على شىء من الأشياء ، حتى دعاة « المادية الجدلية » الذين يضللون الانســانية يشعرون فى أعماق نفوسهم أنهم ليسوا على شىء ، وأن الاســلام والقرآن حق لاريب فيه ، ودعاة المذهب المادى الذين يقـــولون بخلو الوجود من غير المادة وقواها ، لا يستندون على أســـاس متين من العلم ، ولا على تجربة حسية مرغمة والعلم بعـــد أن بلغ أوجه قوته ، يأبى ان ينقاد للذين ينعتون بالعدم أو بالوجود ما ليس لهم به علم ثابت ، وهذا هو الأصل الأول للفلسفة الحية ، وبما أننا نجهل أصول الكائنات ومصائرها ، فلا يجوز لنا أن ننكر وجـــود شىء سابق عليها أو لا حق لها ، كما لا يجوز لنا أن نثبت ذلك واذا كانت هذه هى أبجديات الفلسفة الحسية فانه ليس منها فى شىء ما يذهب اليه الماديون من حكمهم الجازم بقدم المادة وابديــتها ، وبعدم وجود عالم ارفع من عالمها .. واذا كانوا ينكرون العالـــم

العلوى بدعوى أنه مما لا تدركه أبصارنا ، فان فى الوجود الـذى نعيش فيه ظواهر مادية كشفها العلم وقررها ، ونحن لا نعلـم بوجودها ، فهل يتفق مع العقـل والعلـم أن نذهب الى وجوب نكرانها ؟ كلا ، ان الانسـانية تعيش وما تزال تعيش فى جهالة كثير من الأمراض التى تصيب جسم الأنسان ، وحواسنا تخدعنا بحقائق كثيرة من أسرار الحياة ، فلا تزال تجهل سر الحياة وأسرار فى أشياء كثيرة ، ولا تستطيع أن تكشف لنا كل ما هو موجود ، بل انها قد تعطينا أحكاما كاذبة عن الكون المحيط بنا ، ومن الخطأ الكبير أن نقول ان ما نشاهده فى هذا الكون هو كل ما فيه .. على أن الكثيرين من أعلام العلم الحديث وسدنته قد أثبتوا عن طريـق العلم وجـود عالم أعلى من عالم الطبيعة ، فكيف نكذبهم بدعاوى تقوم على التوهم المحض الذى تقـوم عليه وعلى التحكم الباطل دعوة المادية الجدلية .. وهذا « أميل بوترو » الفرنسى يؤكد فى كتابه « تقلب النواميس الطبيعية » : « أن من الخطأ أن يقال ان النواميس هى التى تدبر الظواهر الطبيعية ، لأنها لم تكن موجودة قبل الكائنات ، ولكن الكائنات هى التى اقتضـتها » .. والى أى حد تنحصر هذه النواميس فى دائرة نواميس اخرى ليس لنا بهـا علـم ؟

ان العلم فى عصر الذرة يقف متضائلا امام عظمة الكون ، وجلال الخلق وابداعه وسـمو القوة التى تحكم مصائره ، انه يقف على عتبة هذا الكون العظيم مذهولا بما يشاهد ، مشدوها بما يرى ، متحيرا فى اسرار هذه العظمة الباهرة ، وآثار هذه القوة الخارقة القادرة ، فمن الذى خلق الضحى والليل اذا سجا ، والنهـار اذا تجلى ، والقمر فى عليائه ، والشمس فى رفعتها ، والنجوم فى زينتها ؟ من الذى خلق هذه الأجرام العلوية ، الضخمة ورفعها ؟ وأوجد هذه المجموعات المتوالية من الأكوان العجيبة الغريبة ؟ .

ليس هناك شيء الا الله ، الذى خلق الحياة وصورها ، وابـدع كل شيء خلقه ، وكل شيء أوجده .

ووجود الله أصل «يستدعى الايمان‌به وبرسالاته ورسله وبالعالم الروحى ، وبالبعث والحساب واليوم الآخر ، وصدق الله العظيم حيث يقول فى الكتاب الحكيم : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ؟ » .

نبي الإسلام

١ ـ وصف الله ـ عز وجل ـ فى كتابه الحكيم ، نبيه محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعظمة الخلق ، فقال تعالى : « **وانك لعلى خلق عظيم** » ، فهل يصح لنا أن نصف الرسول الأكرم بالعظمة ؟
العظمة بمعناها المتبادر الذى هو التميز والرفعة وعلو المنـزلة ، أو بمعناها المقصود ، الذى هو لازم ذيوع الشـهرة ، وخلود الذكر ، وهو لا زم للمعنى الأول ومقصود منه ·· لا بمعنى الكبرياء والصلف فانه ليس بمراد لى ولا لأحد فى مثل هذا المقام ·

هل يجوز ذلك ، كما أجاز بعض المعاصرين وصـفه بالعبقرية ؟
فى اعتقادى ـ وان كان وصفه ، صلى الله عليه وسلم ـ بالنبـوة هو الأتم والأكمل والأليق ، لأنه وصف يبين حقيقة شخصيته ـ صـلى الله عليه وسلم ـ ومنزلته عنـد الله ، ان ذلك جائز ، وأنه ليس انتقاصا لمكانته ودرجته عنـد الله ـ عز وجل ـ وليس محاولة لادراج هذا العلم الأرفع فى عداد الناس ولا لنعته بنعوتهم ووصفه بأوصافهم ·· فهو المفرد فى تاريخ العرب، والفذ فى حياة الانسانية ·· والصورة الكاملة التى لم تتجل واضحة فى أحد سـواه ·· صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما بقيت الأرض والسماء ·

٢ ـ وما هى موازين عظمة نبى الاسلام اذن ؟ ان للعظمة قيما يحكم بها على ضوئها ، وأسسا تنبنى عليها ، وقد يختلف الناس

فى هذه القيم وفى تلك الأسس ، ولكننا سوف نحاول هنا أن نلم بجميع موازين العظمة والشخصية ، لنزن على ضوئها مدى عظمة نبى الاسلام ونقدرها قدرها الصحيح الذى تجتمع عليه كل الآراء٠

ومن البدهى أن الانسانية كلها ، مفكريهـا وروادها وقادتها وسادتها والحاكمين منها والمحكومين على حد سواء قد اصطلحت فى جميع العصور والأجيال على أن نبى الاسلام ــ صــلوات الله عليه ــ كان عظيما حقا فى كل شئ ، وفى كل جانب من جوانب حياته ، وأننى حين أكتب فى ذلك لا آتى بجديد ، ولا أقرر حقيقة كانت غائبة عن أذهان الناس ٠

ومع ذلك فانى أقول : ان العظمـة تقاس بقيمــة واحدة من القيم ، أو بمجموعة منها ٠٠ وسوف أدرس تلك القيم واحــدة واحدة ، وأبين كيف أنها كلها منفردة توجب وصف محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالعظمة ، بل بأنه أعظم الناس كافة ، وأعظم العظماء منهم خاصة ٠٠ صــلى الله عليه وعلى آله وصحابتـه أجمعين ٠٠

٣ ــ وأول هذه القيــم التى نحكم على ضــوئها بعظمة نبى الاســلام ٠٠

القيمة الذاتية

فالانسان قد يوصف بالعظمة لأنه رجل ناجح فى الحياة وصل فى خضمها الى كل ما يريد لنفسه من نجاح ، نجاح فى الجاه أو المال أو الشخصية أو العمل ٠٠ وعلى ضوء هذه القيمة نستطيع أن نقول انه ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان أكثر الناس نجاحا فى الحياة، يتيم فقير لا حول له ولا طول قد أصبح فى عمره القصير صاحب

دعوة ورسالة ، ورائد أمة ، بل رائد الانسانية ، وصار بانى دولة فتية كان بيدها زمام الامور فى العالم أجيالا طوالا ، كما صار بانى حضارة وفكر ، لم يستطع أحد غيره أن يبنيهما على مر العصور ، ثم صار موضع الأمل والرجاء فى مجتمعه وموضع الذكر والخلود فى التاريخ ، ودوى اسمه فى الشرق والغرب ، بل كان اسمه حين يذكر تفزع منه الملوك والأباطرة والقياصرة ٠٠ أليس ذلك كله نجاحا ، بل أعظم من النجاح ، وأكبر من هذا الوصف المحدود ٠٠ واذا فمحمد عظيم لأنه كان انسانا ناجحا فى كل أطوار حياته ٠٠ لم يتخل عنه النجاح لحظة واحدة ، حتى فى فترات بؤسه وفقره ويتمه ٠٠

أكان ذلك حظا وجدا ، أم كان عن كفاح وجلاد فى الحياة ؟ هذا شىء آخر ، لا أحب أن أتحدث فيه الآن ٠

وثانى هذه القيم والموازين : هى القيمة المثالية ، فالانسان لا يعد ناجحا فى الحياة لمجرد أنه نجح فى تحقيق أمنياته فى حياته ، ونال منها كل ما يريد ، ولكنه يعد ناجحا لأنه يمثل قيمة مثالية ، قيمة تنطق عن مثاليات الحياة ومبادئها وسلوكها وأخلاقها ٠٠ قيمة مستمدة من مبدئه الذى سار عليه طيلة حياته فلم ينحرف عنه ، ومن خلقه الذى انطوت عليه نفسه وشخصيته ، فهو ناجح لأنه سار على ضوئه فلم يتزعزع ايمانه به ولا وقوفه عنده فى نفسه ٠ ومحمد ـ صلوات الله عليه من ذلك الجانب عظيم ، وأعظم من كل عظيم ، فقد مثل فى نفسه وسلوكه وعمله وخلقه كل مثاليات الحياة الطيبة الرفيعة ، من وفاء وصدق وأداء للواجب وللحقوق ، ومن رحمة وانسانية وشفقة وبر وتواضع ٠ وما أصدق ما وصفته خديجة ـ زوجه الطاهرة البرة الأمينة ـ بقولها : « والله لن يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » ٠

وكم من أناس أصبحنا اليوم نعدهم ناجحين فى الحياة لمجرد أنهم جمعوا بعض المال والثراء ، أو وصلوا الى بعض المناصب وبعض الجاه ، وان كانوا فى صعودهم الى ما صعدوا اليه يمثلون الانتهازية حينا أو الفساد والانحلال حينا آخر ، أو الجشع وحب النهب والغش وأكل أموال الناس بالباطل حينا ثالثا .. ولو كانت هناك قيم مرعية لطردتهم هى من ساحة النجاح طردا ، وأبعدتهم عن ميدان ادعاء العظمة ابعادا شديدا .

ان نجاح محمد ـ صلوات الله عليه ـ لم يكن مبنيا على شىء من ذلك كله ، فهو لم يكن أنانيا ولا انتهازيا ولا منافقا ، ولم يكن مواريا ولا مرائيا ولا مخادعا ، ولم يكن سلبيا فى حياته ولا ممن يحرصون على الوقوف فى الموضع الوسط ارضاء لكل الأطراف .. بل قد نزهه الله ـ عز وجل ـ عن كل ذلك واصطفاه على العالمين كان نجاحه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حياته مقرونا بالتزامه للمثل والمبادىء ولأشرف قواعد السلوك الانسانى الرفيع ..

وثالث هذه القيم : هى القيمة الروحية وهى قيمة لها خطرها. فالمصلح الدينى عظيم لأنه يمثل قيمة روحية خاصة ، والنبى عظيم ، والرسول عظيم ، لأنهما يمثلان قمة القيم الروحية .

ولقد نزلت آخر الرسالات على محمد ابن عبد الله ، وشرفه الله بها ، فأدى الرسالة وبلغ الأمانة ، ودعا الانسانية كلها الى الايمان بدعوته ، فآمن بها الكثير من الأمم والشعوب والجماعات والأفراد .. ومن هنا كان نزول الرسالة عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعلى المقاييس لوزن عظمة نبى الاسلام عليه السلام ، فكيف به وقد كان خاتم الرسل والأنبياء ، وكانت رسالته خاتمة الرسالات ، وكان هو امام الأنبياء والمرسلين ، والذين اجتمعوا على التبشير به والدعوة الى بعض أصول دعوته ؟ وفى الحديث الشريف ما معناه : أعطيت خمسا لم يعطهن نبى من قبلى : جعلت

لى الأرض مسجدا وترابها طهـــورا ، ونصرت بالرعب ، وأعطيت الشفاعة ، وختمت بى الرسالات ٠

ورسالته ـ صلى الله عليه وسلم ـ باقية الى قيام الســاعة ، صالحة لكل زمان ومكان ٠

ان هذه القيمة الروحية هى أسمى القيم ، وأرفـع الموازين ، وأكمل الأسس لوزن عظمة نبى الاسلام ، ويكفى أن نقول عنـه انه نبى ورسول فحسب ، فكيف بك اذا أضـــــفت الى ذلك أن شريعته خاتمة الشرائع ، وأنها باقية ما بقيت الحياة ، وأنه نزل عليه الذكر الحكيم كتابا من الله هاديا ومنيرا وداعيا الى الله والى كل قيم الحياة ومثالياتها ومبادئها الشريفة ٠٠

ورابع هذه القيم : هى القيمة الاجتماعية ،اذ تأخذ من منزله الرجل فى مجتمعه ، والتفاف الناس حوله ، وثنائهم عليه ، وحبهم له ، دليلا على عظمته ٠٠

وقد كانت منزلة محمد ـ صلى الله عليه وسلم فى المجتمع المكى وفى المجتمع المدنى وفى المجتمـــــع العربى والاســـــلامى ، بل والانسانى ، منزلة رفيعة لم يدركها أحد ، ولم ينلها انسان من قبل ولا من بعد ٠٠ وكان سعى الرسول لخير المجتمع سعيا رائعـــا عظيما تتحدث به كتب السيرة النبوية الشريفة ٠٠ كان يعطف على المرأة والخادم والعامل والفقير والمريض ، كان يقيم المجتمــع على دعائم متينة من الحب والاخاء والمساواة والتكافل الاجتماعى والرحمة والبر ٠ حرر الأرقاء ، أعلى منزلة المستضعفين ، لم يجعل للحاكم فضلا على المحكوم ولا للقوى فضلا على الضعيف ٠٠ الى غير ذلك من المبادىء التى لا يتسع الوقت لتفصيل الكلام فيها ٠

وخامس هذه القيم هى القيمة القـــومية التى تأخذ من زعامة الرجل فى قومه ودعوته لهم الى قومية واحدة والى وحدة تجمـــع جميع أجناسهم وأصولهم وشعوبهم دليلا على عظمته ٠٠ وبهـــذا

المقياس نستطيع أن نقول ان نبى الاسلام كان عظيما حقا ، فقد جمع العرب على كلمة واحدة ، ووحد بينهم وألف بين قلوبهم ، وأعلى قوميتهم ورفعها مكانا عاليا ، وساوى بينها وبين القوميات الأخرى فى الحقوق والالتزامات ، فلم يكن داعية عنصرية، ولا ممن يفضلون جنسا على جنس ، ولا لونا على لون ، ثم جمع المسلمين جميعا فى قومية اسلامية واحدة ، ووحد بينهم فى الشرائع والقوانين والالتزامات والأهداف ، فهو رائد لقومية المسلمين ٠٠ وهو بذلك أكبر من عظيم وأكثر من رائد وداعية — صلى الله عليه وسلم — ٠

وسادس هذه القيم : هى القيمة الفكرية التى تبنى عظمة الرجل على فكره وآرائه ومبادئه التى يمثلها ويدعو اليها ٠٠ وتفكير الرسول الأعظم محمد — صلى الله عليه وسلم — وان كان مستمدا من رسالة السماء فهو يمثل فى شتى وجوهه الحرية والشورى والمساواة ، ويمثل الحق والعدل والاخاء ، يحارب الطغيان والفساد الانحلال ، وينبنى على الدعوة الى حمل المسئولية ونشر العلم والعمران والحضارة فى الأرض ، ويقوم على عمد راسخة من الوازع الدينى فى النفس ، ومن الضمير الحر الدقيق الاحساس بكل شىء ومن تمثل الجزاء الالهى والخوف من العقاب الأخروى ، وهو فكر حرر الحياة من نظام الرق والاقطاع والوحشية والجاهلية الأولى ، ونقلها الى عهود جديدة من المعرفة والحضارة والأخوة فى الله وفى الدين وفى المسئولية ٠

وسابع هذه القيم : هى القيمة الانسانية ، التى تأخذ من حياة الرجل — لا فى مجتمعه وبين قومه فحسب — بل فى صميم الانسانية كلها ، ميزانا لوزن عظمة الانسان ٠٠

ولقد كان محمد — صلى الله عليه وسلم — الاب الروحى للانسانية كلها ، اتسع تفكيره لكل الأمم والشعوب والعناصر

والأجناس والألوان ، دعا الى وحدة العالم تحت شعار شريعة مطهرة منزلة من السماء ، أقام حدودا للعدالة دخل فيهـــا كل صاحب رأى وصاحب دين وكل ذى عنصر أو جنس لا يمت الى العرب ولا الى العروبة بسبب ٠

كان قلبه الكبير يحزن للانسانية وهى تهوى فى هوة سحيقة من الشرك والوثنية ٠٠ فيدعوها الى توحيد الله وعبادته وطاعتــه وحده ، وكان قلبه يخفق كلما رأى دليـــلا من دلائل الخير فى الناس والانسانية ٠

ان نبى الاســـلام بحق يعد الزعيـــم الأكبر والامام الأعظم للبشرية كافة ٠ دينه لكل الناس ٠٠ الكتاب المنزل عليه موجــه اليهم جميعا ٠ وما أكثر ما صدرت آياته وسوره بـ « يأيها الناس» فتشريعات الاسلام ونظمه وقوانينه تستهدف الخير للناس كافة ، وتعمل على اقامة مجتمع انســـانى حر كريم تشمله الرفاهيــة والسعادة والتعاون بين الناس جميعا وتظله الحرية والمســاواة والاخاء بظلها الوارف الأمين ٠

٤ ـ هذه هى موازين العظمة ، فانظر بالله كيف تنطبق كلها على هذا الرسول العربى الأمين ، على هذا المبعوث من الله رحمــة للعالمين ، على من نزل عليه القرآن هدى ورشدا ونورا لكل الناس أجمعيـــن ٠

وقد تكون هناك موازين أخرى لوزن عظمة الانســـان ومدى قوة شخصيته فى الحياة ، وبأى ميزان نزن محمـــدا نبى العرب ورسول الاسلام ، نخرج بنتيجة واحدة هى عظمة هـــذا النبى الرسول ، عظمة خارقة للعادة خارجة على المألوف، عظمة لم يدركها أحد من رواد العالم ، ومفكرى الانسانية ورسلها البررة الأوفياء

اللهم الا ميزانا واحدا ، هو ميزان الشرك والضلال والالحاد والمادية الكافرة بكل دين وبكل رسول وبكل كتاب فانه لا شأن لنا مع الذين يحاولون رد الانسانية الى حياة الغاب ونظـــام الجاهلية الأولى ، ممن لا يعترفون بحقيقة ، ولا يؤمنون بأية قيم روحيـــة أو غير روحية ٠

ان محمد بن عبد الله الرسول العربى ، خاتم الرســـــل ، وآخر النبيين ، قد كان فى كل أطوار حياته ، وفى جميع شمائله وأخلاقه وصفاته ، عظيما ، انتقل الى الرفيق الأعلى بعـــد أن ترك دولة فتية ، ألقى القدر فى يديها زمام العالم لعدة أجيال ، وأقامها حارسة للحضارة والحـــرية ، واعتز بها التـــــاريخ رمزا لكرامة الانسان وارادته والمثـــاليات الحياة الكريمة وروحيتهـــا الصافية الصادقة ٠

فما أعظمه نبيا ، وما أرفعه رسولا من عنـــــد الله ، مبشرا بالحق ، وداعيا الى الله والى صراط مستقيم ٠

الاسلام ومشكلات الشباب

الاسلام دين اجتماعى ، له صلته الوثيقة بالمجتمع ، لم ينعزل عن الحياة والناس ، بل جاء رائدا ومرشدا ، يجابه مشـــــاكل الطبقات والأفراد ، ويحلها بمناهج عملية مبسطة ، يسهل العمل بها واتباعها ٠ ولقد نظم الاسلام ألوان الحياة الاجتماعية والعقلية والاقتصادية والسياسية ، كما نظم الحياة الروحية، تنظيما كاملا شاملا ذا أثر فعال ٠

ومشكلات الشباب كثيرة ، وتزداد فى المجتمعـــات المتحضرة حدة واضطراما ، ويمكن حصر هذه المشكلات فيما يلى :

أولا ــ مشاكل الاسرة ·

ثانيا ــ مشاكل التربية ·

ثالثا ــ مشكلة الفراغ ·

رابعا ــ مشاكل العيش ·

وقد نظر الاسلام الى هذه المشكلات جميعها نظرة جادة حازمة، وأوجد لها مختلف الحلول العملية المناسبة التى لا تعقيد فيهــا ولا التواء ·

مشاكل الأسرة

فمشكلات الأسرة من حيث الخلافات الزوجية وتعدد الزوجات وانحراف أحد الزوجين أو كليهما لهــا حلول كثيرة ناجحة فى الاسلام ، فقد وثق الاسلام عقدة الحياة الزوجية توثيقا كاملا ، ودعا الى احترامه وتأكيده ونهى عن الخلاف والأسباب المؤدية اليه وحذر من الكراهية والشقاق ، ودعا الى القضــاء على بذر الفرقة بدعوته الى التحكيــم فى كل ما يستعصى على الزوجين حله ، والآيات والأحــاديث فى ذلك كثيرة متضــافرة لا تحتاج الى الاســتقصاء ·

أما من حيث تعدد الزوجات ، فان الاســلام يحرمه حيث لا ضرورة له ، فان وجدت ضرورة ملزمة جاز التعدد ، ووجب على الزوج التزام العدل المطلق بين الزوجات فى كل الأمور ، وتقدير هذه الضرورة متروك الى الزوجين معا ، أو الزوج وحده فيمــا يخصه أو الى القضاء ، تنظيم التعدد فى الاسلام فيه علاج لمشاكل كثيرة ومن المعروف أن الأزواج فى الدول الغربية اليــوم كثيرا

ما يتخذون زوجات غير شرعيات مما يدل على أن أوربا المسيحية بدأت تسير نحو التعدد .

أما الانحراف الذى يعطى للشباب قدوة سيئة يأخذونها من المنزل ، فانه مع حرمته من حيث الجوانب الخلقية ، فقد سد الاسلام المنافذ اليه .. فالزانى المحصن « المتزوج » عقوبته الاعدام ، وعقوبة غير المحصن الجلد ، وكذلك الزوجة ، وقد جعلت العقوبة على الزوج المحصن أشد لأن استهتاره لا يعرضه وحده للخطر بل يعرض معه أسرته كذلك .

مشاكل التربية

أما مشكلات التربية فى الاسلام فأنها تجد فى شريعتنا الخالدة حلولا عملية ، فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ومن حيث الأساتذة فان اختياهم موكول الى الطالب نفسه أو ولى أمره ، فأساسه الاختيار مما ينتفى معه جانب الاكراه الذى لا يتفق مع مبدأ الحرية فى الثقافة ، والتربية والتعليم فى الاسلام أمر واضح كل الوضوح ، ويدل ذلك على أن مجلس التعليم عمل ثقافى ودينى معا ، ولم تقم مشكلات تعليمية فى الاسلام فقد اتخذت دور العبادة ، أماكن للدراسة ، وفرض على الاغنياء والقادرين فى الدولة الاسلامية رعاية التعليم والصرف على شئونه دون تردد أو احجام ، ولا شك أن حرية التعليم وطابعه الروحى والفكرة التعاونية فيه كلها خير ضمان لمحاربة مشكلات التربية والقضاء عليها ، مما يتيح للشباب فرصة الاستقرار فى حياتهم وتنظيمها تنظيما عمليا يؤدى الى الهدف المنشود .

مشاكل الفراغ

أما مشكلة الفراغ فهى معروفة الأثر والخطر ، وقد عبّر عن ذلك أبو العتاهية الشاعر العربى الاسلامى المشهور بقوله :

ان الشباب والفـــراغ والجدة
مفســـــدة للمرء اى مفســدة

والجدة : الاستغناء والمال .. ولم يوجد أمام الشباب العربى المسلم هذا الفراغ حتى يتعرض له ولمشكلاته ، فقـــد وزع الدين الاسلامى الوقت بين العمل والعبـــــادة والراحة ، ولم يكن أمام الشباب ما يلهيه عن أداء الواجبات ، فقـــد كان الجانب الروحى القوى الذى ربى عليه الشباب خير موجه لهم فى حياتهم ، وخير ضمان من الزلل نتيجة تعرضهم للمشكلات النـاجمة عن الفراغ ، هذا الى جانب ان الاسلام أمر باتباع القدوة الصالحة ، ونهى عن القدوة السيئة ، وحض على مصاحبة الاخيار من الاصدقاء وتجنب الأشرار منهم ، وهكذا عمل الاسلام على حفظ أخلاق الشـــباب بتقويمه وتوجيهه الوجهة الطيبة الصــــالحة الناجحة للتغلب على مشاكلهم ..

مشاكل العيش

أما مشكلات العيش والحياة ، التى يتعرض لها الشباب دائما فقد كفل لها الاسلام الحلول على ابسط الوجوه ، فليس هنـــاك مشكلة تشرد فى الاسلام، وليس هناك مشكلة بطـــــالة كذلك ، فالطفل الفقير يشب وله نصيب معلوم فى بيت المال يأخذه القوام لينفق عليه منه ، فاذا لم يكن فى بيت المـال ما يكفى لذلك ، ولم

يكن له أبوان ، فأقاربه الاوفون ملزمون بنفقتـه حتى يبلغ مبلغ الرجال ، ومع ذلك فقد أوجب الاسلام على الطفل أن يعمـل فى الحدود المعقولة حتى لا يشعر ولا يشعر أهله بأنه عالة عليهـم بشرط ألا يرهقه العمل أو يضر بصحته ، فاذا بلغ مبلغ الرجال ، ألزم بالعمل من أجل العيش والحياة ولزمته نفقة من يجب عليه أن يعولهم ، واذا كان الشاب مريضاً بمرض يمنعه عن العمل وجبت نفقته على أهله أو على الدولة ما دام كذلك ٠

مشاكل المستقبل

أما مشكلات المستقبل أمام الشباب الاسلامى فلا خطر منها ٠ فجميع الأبواب مفتوحة أمامهم ، لا تحد من حريتهم ، ولا تحول بينهم وبين الحياة فى أمن واطمئنان وسلام روحى ٠٠ وجميـع المناصب والوظائف متاحة للاكفاء حسب مواهبهم واستعداداتهم٠

ومن البديهى أن نظامنا الاشتراكى الديمقراطى التعـاونى يسير على أسس هى فى حقيقتها أسس الاسلام بالنسبة لعـلاج مشكلات الحياة والاقتصاد وفتح المنافذ أمام أفراد الشعب ٠

وواجب الشعب حيال هذه المشكلة أن يسـاهم أفراده فى انشاء الأندية الثقافية والدينية والرياضية للشباب، على أن يتوافر فيها بعض الوجبات الخفيفة للمعوزين الفقراء منهم ، وعلى الموسرين والهيئات أن يتضافروا فى حل مشكلة التشرد بالتطـوع باقامة بيوت الشعب لايواء المشردين وليجدوا فيهـا التوجيه الدينى والثقافى والمهنى ، وعلى الوعاظ والمرشدين والدعاة أن يتولوا علاج مشكلات الشباب الروحية ، فالشعب يجب أن يساند الدولة فى القضاء على هذه المشكلات ، والله الموفق ٠

من أثر الإسلام الفكري

— ١ —

يقول النقاد : ان الالمان شعب المفكرين والشعراء ، وصدقوا فيما يقولون ، فقد ظهر على مسرح الحياة العقلية فى المانيا فى القرنين التاسع عشر والعشرين أعلام عديدون من المفكرين والادباء والشعراء ممن خلد ذكرهم ، وذاع أدبهم وطـار صيتهم فى كل مكـــان .

— ٢ —

ففى أثناء القرن التاسع عشر كانت دول الاستعمار مشغولة بغزو العالم والسيطرة على مرافقه مسلحة بشتى الاسلحة الحديثة، التى كشف عنها العلم وابتكرتها قريحة الانسان وعقله وذكاؤه ، ولكن الشعب الالمانى كان بعيدا عن معارك السيطرة والغزو وكان شغله الاهم عنده هو الادب والفلسفة والبحث العلمى الذى كان اقوى عـوامل التقـدم الصناعى والتجـارى العالمى وكان الادب الالمانى فى بداية القرن التاسع عشر فى حياة مزدهرة فظهر فى المانيا أكبر شعرائها عبقرية وثقافة والماما واسعا بتاريخ الشـعر وقد نشر جوته عام ١٨١٩ م كتابه الذى أسماه « الديوان الشرقى الغربى » وقد احتوى على أشعار عديدة قلد فيها هذا الشاعر الملهم الروح الفارسى فى الشعر ، كما احتوى على مقالات مختلفـة

بعضها فى العلم والبحث والدراسة والأخر يتضمن مشاعر عميقة مستوحاة من روح الشرق الاسلامى وآدابه .

– ٣ –

ونتساءل من اين استمد جوته هذا الاهتمام الحى بنتاج الحضارة والثقافة الاسلامية العربية ، وبآثار العرب الخالدة فى الشعر والتفكير ؟ ومن غير شك كانت حركة الاسشراق ذات أثر كبير فى ذلك ، فقد ترجمت آثار اسلامية كثيرة على أيدى المستشرقين ، ما زاد من أجله اطلاع المثقفين فى اوروبا على اللغات الشرقية ، وعلى انتاج الادباء العرب والفرس ، وفى ميدان الدراسات اللغوية يلفت النظر عالم عبقرى اسمه هامر برجشتل ، كان قد درس اللغات العربية والفارسية والتركية فى شبابه فى مدرسة مخصوصة لتربية المترجمين من أجل الخدمة الدبلوماسية، قد اسستها الامبراطورية النمسوية مارى تريز فى القرن الثامن عشر وقد زار هامر برجشتل تركيا واقام فيها فترة مترجما فى السفارة النمسوية وجاء الى مصر مع الجيش الانجليزى الذى اسقط حكومة نابليون الظالمة فى وادى النيل وكان « هامر برجستل » قد بذل جهودا كبيرة فى سبيل جمع المخطوطات العربية ودراسة محتوياتها وبعد عودته الى فينا ترجم كثيرا من قراءاته ومما ترجمه التائية المشهورة لعمر بن الفارض شاعر الحب الالهى ، كما ترجم قصة عنترة بن شداد وكتاب ايها الولد للغزالى وديوان محمد شمس الدين حافظ الفارسى . ولما اطلع جوته فى مدينة وايجار على تلك الترجمات اثاره جمال الشعر العربى الشرقى ، وعمق ما فيه من افكار وسحرته روح الشرق الذى قال عنه « ان من الشرق تهب روح الآباء – اى الانبياء – الذين طالما قرا عنهم جوته فى الكتاب المقدس .

وقد صدر الديوان الشرقى الغربى عــام ١٨١٩ ، وسمى الشاعر الابواب المختلفة بأسماء أخذها من ديوان حافظ ، ومنهــا كتاب زليخا ، كتاب الخلد ، كتاب الساقى .

ومن يقرأ الديوان الشرقى الغربى يجد فيه أفكارا اسلاميــة عديدة مثل « الاسماء الحسنى » والجنــة والمعراج والهجرة ، وقد صور ذلك بالاعتماد على روح القرآن وبلاغته .

وكان جوته يفسر كل ذلك فى هامش « الديوان » ويختــار قصصا من حياة محمد — صلى الله عليه وسلم — واخرى عن الملائكة ويدون روايات عن مجنون ليلى يضمنها شعره فصــارت هذه القصص جزءا من صميم الادب الالمانى الحــديث . وفى المقالات كتب كثيرا عن شعر العرب فى الجاهلية وعن جمــال القرآن وبلاغته وفائدته للانسانية وعن خصائص الشعر الفارسى.

ويقول فى شعر مشهور له :

ان من عرف نفسه وعرف غيره
لا بد أن يعرف هنــا ايضــا
ان الشرق والغــرب لا يفترقــان
وانى لأستحسن أن يعيش الانسان فيها
والخير فى الاهتمام بالشرق والغرب جميعا

ثم يعبر عن رجائه فى أن ينفتح الباب لفهــم روح الشرق وتاريخه بتأثير الترجمة ، لروائع الشرق وآثاره الروحية والفكرية والادبيــة .

وكان من اكبر تلاميذ جوته الذين يمثلون الروح الشرقى فى آدابهم المستشرق فريد « رنج ركرت » وكانت له عبقرية العالم والاديب (وتوفى سنة ١٨٦٦ م) وله ترجمة لخمسين سورة من القرآن الكريم ضمن ترجمته له كثيرا من خصائص بلاغة اللغـــة العربية حتى السجع فقد كتب به اللغة الالمانية اساليبه وكذلك نشر ركرت ترجمة مقالات الحريرى وكل من له ذوق ادبى وثقافة عالية يعرف ان هذا الكتاب هو من الادب العالمى الذى لا يفهمه كل قارىء لما احتوى عليه من تصوير لشتى الوان المشاعر ودقائق الاحاسيس ولما احتوى عليه من مختلف الاساليب والالفاظ العربية الفصيحـــة .

وقد قلد ركرت كل ذلك وقيل انه اجبر اللغة الالمانيـــة على الرياضة ثم ترجم ركرت حماسة ابى تمـــــام وكثيرا من الشعر الفارسى ونظم قصصا عديدة مأخوذة من قصص الانبياء والرســـل وأذيعت تلك القصائد فى الكتب لتلاميذ المدارس الابتدائية وهكذا كان الطفل الالمانى يقرأ الكثير من حكمة الشرق الاســــلامى التى احتوت عليها قصص النبيين واداب الصوفية والشعر العـــربى الاسلامى والشعر الفارسى .

ومن اجل ذلك ازدهرت الدراسات الفارسية فى المانيا وقدم الاديب الالمانى « جورس Goerres » ترجمة الملحمة القومية الايرانية « الشاهنامة » نثرا للشعب الالمانى وعلى هـــذه الطريقة اطلع القراء الالمان على عقلية ايران بعد الاسلام .

— ٦ —

وقد اهتم الشعراء الالمان بالشعر القارى وترجـــم اكبرهم « بلاتن Platen » غزل محمد شمس الدين حافظ مقـــلدا

أسلوبه وشعره واظهر بسلاسة التعبيرات العاطفية فى العشق والغرام كيف كان يفهم روح الشعر الفارسى ، وكان بلاتن يجيد اللغة الفارسية وتوفى عام ١٨٣٥ م .

— ٧ —

وبعد بلاتن ظهر « شاك Schack » الذى اهتم بالشعر العربى اهتماما كبيرا والف لنا فيه كتابا كبيرا عام ١٨٧٠ م حول الشعر العربى فى الاندلس وفنونه وقد اختار فيه طائفة كبيرة من القصائد والموشحات الاندلسية ومنتخبات من الزجل .

وله ترجمات اخرى من العربية والفارسية وقد قلد طراز الشعراء الشرقيين عموما فى شعره ونشرت ترجماته واشعاره أيضا فى الكتب لطلاب المدارس الثانوية .. وانى لأعجب كيف كانت احدى قصائد « شاك » تحمسنى فى صغرى وهى التى صور فيها حياة البطل العربى سعد بن أبى وقاص الذى قضى على امبراطورية فارس وتغلب على الملك الايرانى « برذ جرد » ولما طلب القائد الايرانى منه ان لا يقتله الا بعد أن يشرب كأس ماء أجاب طلبه فتناول القائد الايرانى الاسير الكأس ثم رمى بها قبل ان يشرب منها فاستبقاه البطل العربى برا بعهده قائلا : لن يخدع مسلم ضيفه ابدا . فكل من يتلقى تعليمه فى المدارس الالمانية يعرف هذه القصيدة ويعجب بكرامة الابطال العرب .

— ٨ —

ولا ننسى هنا مستشرقا آخر اسمه « بودنستد » وكان مقيما فى تفليس منذ سنين وقد قلد فى شعره روح حافظ وعمر الخيام

وانتشرت كتبه كثيرا بين محبى الشعر والادب لانه كان متفوقا جدا فى تنويع الشعر الالمانى حسب الوزن والقافية الشرقية .

— ٩ —

واما شعر التصوف فكان أشهر من ترجم منه كثيرا « روزن Rasen » اذ ترجم جزءا كبيرا من المثنوى المعنوى لجلال الدين الرومى عام ١٨٤٩ م ولا يستطيع القارىء ان يملك اعجابه بسحر تلك الابيات الصوفية التى ترجمها أديب يجمع فى عبقريته العلم والشعور الشعرى .

— ١٠ —

وأما القرآن فاذكر هنا ما كتبه جوته فى الديوان الشرقى الغربى قائلا : انه كان يكره قراءة هـذا الكتاب فى أول الامر ثم جذبه الى قراءته حتى اضطره اخيرا الى الاعجاب به وتقديره .

وقد انتشرت ترجمة القرآن فى المانيا وطبع فيها مرارا ، ولم يفق أحد من المترجمين عبقرية المستشرق« ركرت » الذى ترجم النص بالسجع .

وانى فى هذه الدراسة الوجيزة ارانى مضطرا لاغفال الآثار العلمية للمستشرقين الالمان وغيرهم ، انما اقتصرت على الشعراء المشهورين منهم وهم الذين كان لمؤلفاتهم تأثير عميـق فى قلوب الشعب الالمانى .

وبمناسبة هذه الكلمة الموجزة ايضا أقول : ان كارل بروكلمان المستشرق الالمانى الكبير ، قد ترجم كتابه المشهور « تاريخ الآداب العربية » الى اللغة العربية وظهرت بعض أجزائه فى هذه الايام وكان قد الف مختصرا لهذا التاريخ الادبى عام ١٩٠١ م وأوضح فيه اعجابه بالموهبة الاصيلة فى الشعر العربى وفى القرآن الكريم.

جوته والاسلام

- ١ -

كان ظهور جوته كعالم ومفكر واديب وشاعر فى المجتمع الالمانى بداية لعصر جديد ، يسوده الاعتدال والانصاف والفهم لرسالة الأسلام ، خاصة وان النزعة السائدة فى أوروبا فى القرن الثامن عشر الميلادى كانت تنكر الكتب السماوية والوحى الالهى ، وان اعترفت بوجود الله جل جلاله .

وبتأثير آراء جوته وانصافه اصبح الناس يعترفون بوجود قيم روحية فى الاديان الاخرى غير المسيحية ، وان ذهبوا الكثير منهم الى انها ثمرة للعبقرية الانسانية .

انه لا عجب ان يؤثر جوته فى عقلية المجتمع الاوربى تأثرا كبيرا ، وان يخطو به خطوة كبيرة الى انصاف الرسالات السماوية ومن بينها الاسلام خاصة . وليس بغريب ان نجد مفكرا مثل جوته يهتم فى عصر الاستنارة فى أوربا بكل ظواهر الادب والتفكير بقدر ما وصل اليه العقل البشرى من مستوى آنذاك وفى اثناء محاولة نابليون غزو الشرق وضمه الى امبراطوريته .

ومن المهم أن نعرف آراء المفكرين والادباء فى اوربا ، وخاصة جوته حول دين الاسلام ونبيه الكريم ، ومما يلفت النظر اهتمام عبقريات الشعر الالمانى فى عصر التنوير بالقرآن .

ومن ثم رأيت ان اخص هذا البحث للتعريف بآراء جوته حول الاسلام ورسوله والقرآن ومضمونه الدينى ، وذلك بترجمة

فصل من ديوان جوته الشهير « الديوان الشرقى الغربى » الذى طبع فى المانيا للمرة الاولى عام ١٨١٩

ونحن لا ننكر ان آراء جوته صادرة من شاعر ومفكر نشأ فى عصر الاستنارة وتأثر بآرائه ، ولكن هذا المفكر العبقرى الكبير كانت آراؤه أول خطوة كبيرة لانصاف الاسلام من روح العصبية التى كانت تسود اوربا فى عصره . ومن الموجب للامعان ان نجد تشابها كبيرا بين آراء جوته فى الاسلام وما قاله بونابرت اثناء وجوده فى القاهرة ، وهذه المشابهة تلفت النظر حقا ، وخاصة انها كانت تنطوى على الاعتراف بالقرآن وجماله وبلاغته ونزعته الانسانية وفائدته التى تعود بالنفع على مجتمعات الاسلام .

— ٢ —

يقول جوته : ان نبى الاسلام كان رجلا قويا ممتازا فى كل شىء وكثيرا ما أوضح لقومه انه ليس شاعرا ، بل نبى فحسب ومن ثم يجب أن ينظر الى قرآنه كشرح الهى وتعليم سماوى وليس كتابا انسانيا للدراسة والمتعة فحسب .

ويفرق هذا الشاعر الالمانى العظيم بين الشعراء والانبياء قائلا ان الشاعر ليست له أهداف انما يحاول اظهار بلاغة فنه واصالة موهبته وغرضه المتعة واللذة ، ونيل الحياة المترفة ، أما النبى فهدفه أن يعلن عقيدة وان يعمل على جمع الشعوب حولها كما تجتمع على علم واحد .

وفى الكتاب الذى جاء به محمد — صلى الله عليه وسلم — تفسير لغاياته وشريعته ودعوته ، ويكرر القرآن بعض أفكاره وقصصه وفى الست الآيات الاولى من سورة البقرة بيان موجز لمضمون القرآن واصوله وما وعد به المؤمنين من الجنة وما توعد به الكافرين من النار .

ويشتمل القرآن على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعلى قصص الانبياء مما اشتمل على بعضها أسفار العهد القديم ونحن اذا قرانا القرآن الزمنا بالاعجاب به وتقديره واحترامه وامعان النظر فيه .

وواضح ان المقصود الرئيسى للقرآن جمع كل معتنقى الديانات الموجودة فى جزيرة العرب مع سكانها المتعـددين الذين كان دين اغلبهم الوثنية حول الاسلام ورسالة القرآن ، ليؤمنوا باله واحد قادر أبدى خالق كل شىء والحـــاكم الاعلى ورب كل الارباب وليعبدوه وليصدقوا بشريعة الاسلام وعباداته وليقروا بأن محمدا نبى الله ورسوله الذى بعثه لينشر دين الله الحق ، وليبشر به المؤمنين وينذر الكافرين وليذيعه فى الارض حتى يعترف الناس جميعا انه رسول الله .

ويسمى المسلمون العصر السابق للاسلام بالجاهلية، ويؤمنون بأن عصر العلم والحكمة والتنوير لم يبدأ الا مع الاسلام .

ومن الجدير بالاعتبار كما يقول جوته : اسلوب القرآن ، هذا الاسلوب العظيم والقوى والرهيب والجليل حقـــا ، ويقول انه لا ينكر انسان عظمة تأثير أسلوب القرآن ومن ثم يعتقد المؤمنون به أنه ازلى وغير مخلوق.

ولا شك ان هذا الكتاب سيبقى مثيرا للفكر الانسانى الى الابد والى اعلى درجة من التأثير ، لانه قد نظم نظما باليفا عجيبا وفق أذواق شعب عربى اصيل ، تهزه البـــلاغة ويحافظ على تراثه وتقاليـــده .

وكان محمد يسلك أسلوبا منطقيا عاليا فى ابلاغ دعوته ومن ثم حارب الخرافات وكره الشعر والاساطير ، انه كان ضـــد التخيلات الموهومة وقد حول مشاعر قومه الى قيم روحية جليلة ،

تجلت فى ايمانهم برسالة الاسلام ، التى تدعو الى الايمان باله واحد ، والى طاعته والاعتماد عليه والثقة بحكمته وارادته العليا.

وعندما نتأمل فى قصص نوح وابراهيم ويوسف فى القرآن يستبد بنا التأثير والاعجاب .

هذه هى آراء جوته فى الاسلام ونبيه وكتابه كما سجلها فى « الديوا ن الشرقى الغربى » .

وهى آراء تستدعى الاهتمام وامعان النظر ، والاعجـــــاب بعبقرية جوته .

الإسلام دين المبادئ والتطبيق

- ١ -

المبادىء شيء وتطبيقها شيء آخر ، هكذا يقول الباحثون فى شئون الاجتماع ٠٠ فلقد تكون المبادىء حلوة جميلة ولكنها لا تصلح للتطبيق ، وقد تكون المبادىء غير انسانية وغير مثالية ، ولكنها حين التطبيق تدل على صلاحية للنجاح ، وكثير من المذاهب والأفكار القيمة ماتت بمرور الوقت ، وكثير من شرائع المجتمعات كانت آثارا لافكار ناقصة استكملت نموها بمرور الزمان ٠

- ٢ -

واذا فتشنا عن مبادىء الاسلام وجدناها من السمو والقوة والكمال بمنزلة عالية ، فهى ايمان بالحرية والعدل والمساواة وفيها دعوة الى الحق والواجب والتضحية والايثار والبذل والفداء وتحمل المسئولية ، وفيها الزام بالمساواة والاخاء بين الناس جميعا الى غير ذلك من المبادىء الشريفة ٠٠ والاصول العالية الكريمة النبيلة ٠

ولما طبقت هذه المبادىء فى عصر الرسول — صلى الله عليه وسلم — ثم فى عصر الخلفاء الراشدين ، أحدثت ثورة اجتماعية وانسانية لم يكن لها مثيل فى الأرض ٠٠ زحفت الشعوب

لتعتنق هذه المبادىء ، وبادرت الى طلب الحماية من خلفاء المسلمين ضد ملوكهم الظالمين ورؤسائهم المستبدين ، ومترفيهم الجاهلين .. وقابلت جيوش الاسلام بالتهليل والتكبير والحمد ، ووجدت لاول مرة طعم الحرية والعدالة والمساواة فى الحكم ، وشعر كل انسان بكرامته وشرفه وحريته ، وأنبتت هذه المبـــادىء العظيمة بمرونتها وسهولتها وبساطتها كل ثمرة طيبــة فى الأرض فى كل مكان طبقت فيه ، فازدهرت الثقافة والحضارة فى العالم ، وتأهلت جذور المدنية فى قلوب الملايين .

ولم يصب المسلمون بالذل والمهانة والانهيار الا بعـــد أن انحرفوا عن تعاليم دينهم ، واستهانوا بأصوله ، وخرجوا عـلى حدوده ، وتحكم فيهم الملوك الظالمون ، والرؤســاء الجاهلون .. ومكنوا للمستعمرين أن يطــأوا أرضهم ، ويســتعمروا بلادهم ويسوموهم سوء العذاب ..

- ٣ -

ان الاسلام ، من حيث المبدأ ومن حيث التطبيــق ، صالح لكل زمان ومكان ، يحرز قصب السبق فى كل معركة ، وينـال الفوز فى كل مجال يدخل فيه ، وكل طريق يسلكه .

وليس علينا اليوم فى المنحرفين سبيل ، انما السبيل عـلى أنفسنا اذا انحرفنا عن مبادىء الاسلام وأصوله التى تعززهـــا مبادىء الثورة والحرية ، ثورتنا الفتية التى تجاهد من أجــل مستقبل الاسلام ومستقبل أبنائه فى الأرض ..

علينا أن نسير فى الطريق المعبدة التى ذللها لنا الاســـلام الكريم ، وأن نستضىء بنوره ، ونستهدى بهديه .. حتى يصبح التوفيق والنصر حليفنا فى الأرض ، والويل لنا لو انحرفنــا عن السبيل أو حدنا عن طريقنا ، طريق الخير والمحبة والسلام ..

كلمة أخيرة

وبعد ففى هذه الفصول قد عرضت للاسلام فى قيادة المجتمع العربى ، وأبنت عن سلامته من حيث المبدأ ومن حيث التطبيق ، وشرحت أصوله الكريمة ومبادئه الخالدة ، وما تتضمنه من حقوق عادلة للمجتمع العربى والانسانى ، الذى يسير على ضـــــوئه ، ويهتدى بهداه ..

ولا أجد ما أقوله أخيرا الا أن أحمد الله ، على أن أعاد للاسلام قوته ، وللمسلمين مجدهم فى الأرض ، بعد أن عاشوا أجيالا طوالا وهم فريسة للمستعمرين ، ولقمة سائغة للاكلين .

والأمل اليوم قوى فى أن تستعيد الشعوب العربية الاسلامية سالف عزها وعظمتها اذا ما آزرت دعاة الحرية والوحدة، ورجعت الى ما قرره الاسلام الكريم من حقوق للشعب وللجماهير ، ومن قيم عالية للمجتمع والأمة ، وللفرد والجماعة على حد سواء .

وانى أقول ان الاسلام الذى تتلاقى معه مبادىء ثورتنا الطيبـة هو صمام الأمان وحجر الزاوية فى حاضرنا ومستقبلنا ، وحجـر الطريق الذى سوف يصل بنا الى الخير والسلام والرفاهيـة .. وهو النصر والفوز والأمل فى حياتنا الآن وبعد الآن ..

الفهـــرس

(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)